حســـن التغـريـد

عـلى

كـتـــاب التـوحـيـد

جمعه

أبو حذيفة زكريا بن حميد الصلاحي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد

فهذ شرح متوسط لكتاب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، المشهور باسم: كتاب التوحيد وهو كتاب عظيم النفع وضع الله فيه بركة ونفعا عظيما وشروحه كثيرة جدا، وقد من الله علي بتدريسه مرات عدة في بعض دور الحديث في اليمن وبعض المساجد التي كنت قائما عليها، وقد حاولت جمع أهم الفوائد والتنبيهات والتقسيمات من أهم الشروح وبعض كتب أهل العلم من باب تقريب الفائدة لطالب العلم، ولا يسلم عمل من زلل، فأسأل الله باسمه العظيم أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله، وينفع به جامعه وقارئه إنه سميع مجيب.

كتبه

أبو حذيفة زكريا بن حميد بن فهاد الصلاحي

اليمن- ساحل حضرموت -قصيعر- مسجد عمر بن الخطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ المؤلف بالبسملة اقتداء بكتاب الله وبرسول الله وبفعل السلف، وهناك فرق بين التسمية والبسملة، فالتسمية قولك: [بسم الله] والبسملة قولك: [بسم الله الرحمن الرحيم].

والتسمية مشروعة في كل عمل، بينما البسملة مشروعة في أمور معينة دل عليها الدليل.

مسألة: ما معنى البسملة؟

- (بسم الله) أي أستعين بالله، والباء تفيد الاستعانة والمصاحبة لاسم الله لقصد البركة، لا كما قالت المعتزلة إنها لمجرد المصاحبة.

(الله) علم على ذات الله، وهو أخص أسماء الله تعالى.

قال ابن القيم -عليه رحمة الله-: هو الاسم الجامع للأسماء الحسنى والصفات العلى.

وقال بعض أهل العلم: هو الاسم الأعظم، وهو أكثر كلمة ذكرت في القرآن، فقد ذكر ألفان وسبعمائة وأربع وعشرون مرة.

مسألة: ما الفرق بين الرحمن والرحيم؟

(الرحمن) من الأسماء الخاصة، وهو ذو الرحمة الواسعة. ويشتق منه صفة الرحمة الذاتية.

(الرحيم) من الأسماء المشتركة، وهو ذو الرحمة الواصلة. ويشتق منه صفة الرحمة الفعلية.

(الحمد) لغة الثناء.

اصطلاحا: ذكر محاسن المحمود مع المحبة والتعظيم، فحمد الله هو الثناء على الله محبةً وتعظيماً، فإن خلا من المحبة فيكون مدحا.

(لله) اللام تدل على الاختصاص.

أي يختص الله بجميع المحامد فليس لأحد الحمد المطلق من جميع الوجوه إلا لله.

الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا كانت من الله فهي الثناء في الملأ الأعلى، ومن الملائكة والناس الدعاء.

(آل البيت): هم آل علي وآل جعفر وآل العباس وآل عقيل ونساؤه من أهل بيته كما في سورة الأحزاب، في قوله تعالى:(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) بعد أن ذكر قبلها النداء لنساء النبي في آيات عدة، فدل على أنهن يدخلن دخولا أوليا في آل بيته صلى الله عليه وسلم

١-كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وقوله: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) الآية. وقوله: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) الآية. وقوله: (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا) الآية. وقوله: (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا)،

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمة فليقرأ قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) – إلى قوله – (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا..) الآية.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟" فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً" فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين.

الشـــــــــــــــرح

(كتاب): مادة كتب تدل على الجمع والضم، ويقال للورقة المكتوبة كتاب.

(التوحيد): مصدر من وحد يوحد توحيدا أي جعل الشيء واحد.

اصطلاحا: إفراد الله بما يختص به من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات.

ـ توحيد الربوبية: هو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير، وله أسماء منها:

١ –توحيد الله بأفعاله.

٢-التوحيد العام.

٣-توحيد الإثبات.

٤-التوحيد العلمي الخبري.

- توحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة، وله أسماء:

١-توحيد العبادة.

٢-توحيد الله بأفعال العباد.

٣-التوحيد الطلبي والإرادي.

٤-توحيد القصد والعمل.

٥-التوحيد الخاص: لأنه لم يحققه إلا القليل من الخلق.

ـ فائدة: توحيد المتابعة داخل تحت توحيد الألوهية.

- توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله بما سمى ووصف نفسه، أو سماه ووصفه نبيه بغير زيادة ولا نقصان.

س: ما هو الدليل على أن توحيد الله ثلاثة أقسام؟

الجواب: الاستقراء لأدلة الكتاب والسنة.

- قاعدة: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية.

ـ من أشهر أهل البدع المناقضة للتوحيد الصوفية والرافضة.

- والتوحيد عند الصوفية على ثلاثة أقسام:

١-توحيد العامة وهو توحيد الأنبياء.

٢-توحيد الخاصة.

٣-توحيد خاصة الخاصة وهو سقوط التكاليف، وهو كفر وزندقة ويسمونه (بالفناء).

ـ توحيد المعطلة: وهو نفي الصفات.

وبعض الفرق المعاصرة المبتدعة كالإخوان والسرورية: جعلوا أهم أنواع التوحيد هو توحيد الحاكمية مع أنه داخل ضمن توحيد الربوبية.

ـ وقول الله تعالى: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)).

ـ كل أمر بالعبادة في القرآن هو أمر بالتوحيد، وأول أمر في القرآن حسب ترتيب السور هو الأمر بالتوحيد، قال الله تعالى: ((يا أيها الناس اعبدوا ربكم)) أي وحدوه، وأول نهي في القرآن هو النهي عن الشرك، قال الله تعالى: ((فلا تجعلوا لله أندادا)).

العبادة لغةً: التذلل والخضوع.

واصطلاحاً: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

ـ العبادة تنقسم إلى قسمين:

١ـ عبادة كونية: ويقال لها أيضا عبادة عامة، ويقال لها عبادة ربوبية، ويدخل تحتها كل المخلوقين المكلفين طوعا وكرها.

تنبيه: الكافر عبادته لله عبادة كونية.

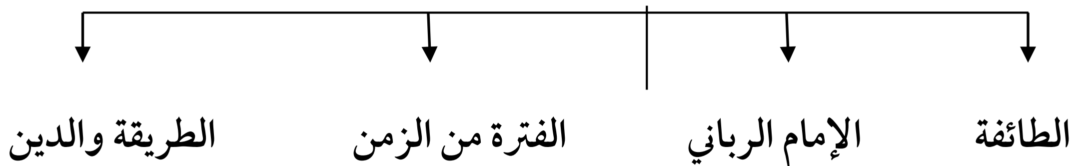
٢ـ عبادة شرعية: وهي عبادة الطاعة، وهي خاصة بالمؤمنين.

وهي على ثلاثة أقسام:

١ـ قلبية: كمحبة الله –سبحانه – ٢ـ قولية: كالذكر. ٣ـ فعلية: كالصلاة.

ـــ وقول الله تعالى: ((ولقد بعثنا في كل أمة نبيا رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت))

الأمة في القرآن لها معانٍ:



- الاجتناب: هو ترك الشيء، وترك الأسباب الموصلة إليه.

- الطاغوت لغةً: مأخوذ من الطغيان وهو زيادة الحد.

واصطلاحاً: قال ابن القيم -عليه رحمة الله-: هو ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع.

س: ما الفرق بين الرسول والنبي؟

ـ الرسول: هو من أرسل بشرع جديد إلى قوم مشركين.

ـ النبي: هو من أرسل إلى قوم موحدين ليجدد لهم دينهم.

ــ وهذا أحسن الأقوال في الفرق بينهما.

ومرتبة الرسالة أعلى من مرتبة النبوة خلافا لبعض الصوفية فإنهم يجعلون مرتبة الولاية أعلى مرتبة وبعدها المرتبة النبوة ثم الرسالة، على عكس الصواب تماما، وكل ذلك للوصول إلى القول بأن الولي أفضل من النبي، وعلى هذا فيقدم قوله على قول النبي وهذا كفر وزندقة.

وقول الله تعالى: ((وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ...)).

ذكر المؤلف الآيات استطراد والمقصود إنما هو قوله تعالى: ((ألا تعبدوا إلا إياه)).

وقوله تعالى: ((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً)).

((واعبدوا الله)) إثبات، والنفي في قوله: ((ولا تشركوا به)).

وقوله تعالى: ((قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ...)).

ــ الشاهد من الآيات هو أن أول وصية هي الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك وما بعدها من الوصايا تابعة للتوحيد فإن صلح التوحيد صلحت إن فسد التوحيد فسدت، والتوحيد أصل الشروط لقبول الأعمال.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (من أراد أن ينتظر...إلخ)

ــ أراد ابن مسعود أن هذه الوصايا ثابته ولم تنسخ ولم تتغير ولم تتبدل، ولم يعرف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كتب وصية، إنما أوصى بكتاب الله كما في الصحيح عن علي -رضي الله عنه-.

وعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه -قال: (كنت رديف النبي -صلى الله عليه وسلم - على حمار ... الحديث).

قوله (أتدري) استفهام تشويقي، وهذا من أساليب رسول الله -صلى الله ليه وسلم -في التعليم.

قوله (حق العباد على الله) وهذا أوجبه الله تعالى على نفسه، فلا يجوز للمسلم أن يوجب على الله ما لم يوجبه على نفسه، وهذا من التفضل والرحمة لا من باب المقابلة.

٢-(باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب)

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل). أخرجاه. ولهما في حديث عتبان: (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال موسى: يا رب، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: يا موسى: قل لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله الله في كفة، مالت بهن لا إله الله) [رواه ابن حبان، والحاكم وصححه].

وللترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله تعالى: يا ابن آدم؛ لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة).

الشـــــــــــــــــــرح

(ما) موصولة فإن كانت موصول اسمي فالمعنى: فضل التوحيد والذي يكفر من الذنوب.

وإن كانت موصول حرفي فالمعنى: فضل التوحيد وتكفيره الذنوب

وقول الله تعالى: {الذين ءامنوا ولم يلبسوا... الآية}.

فيها أن الإنسان لا يحصل له الأمن إلا بالتوحيد.

قوله (يلبسوا) أي يخلطوا. (بظلم) أي بشرك.

ــ أنواع الظلم:

١ـ ظلم العبد لنفسه بالمعاصي.

٢ـ ظلم بين العبد وربه بالشرك.

٣ـ ظلم الإنسان للآخرين بأخذ حقوقهم.

قوله (لهم الأمن) أي في الدنيا والآخرة.

وقوله (وهم مهتدون) أي في الدنيا بالاستقامة والسداد، وفي الآخرة إلى طريق الجنة. ،

وعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه – قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -:

((من شهد ألا إله إلا الله...)) الحديث.

شهد أبلغ من أعتقد لأنه بلغ عنده اليقين وكأنه يرى ذلك ويشاهده.

فائدة: أسماء لا إله إلا الله:

١ـ كلمة التوحيد. ٢ـ كلمة الإخلاص. ٣-كلمة التقوى.

٤ـ كلمة الصدق. ٥-الكلمة الحسنى. ٦ـ الكلمة الطيبة.

٧ـ الكلمة الباقية. ٨ـ كلمة الله العليا. ٩ـ العروة الوثقى.

١٠ـ القول الثابت.

فائدة ــ حديث عبادة فيه رد على ثلاث طوائف:

١ـ على المشركين لقوله وأن محمد عبده ورسوله لأنهم كذبوا به.

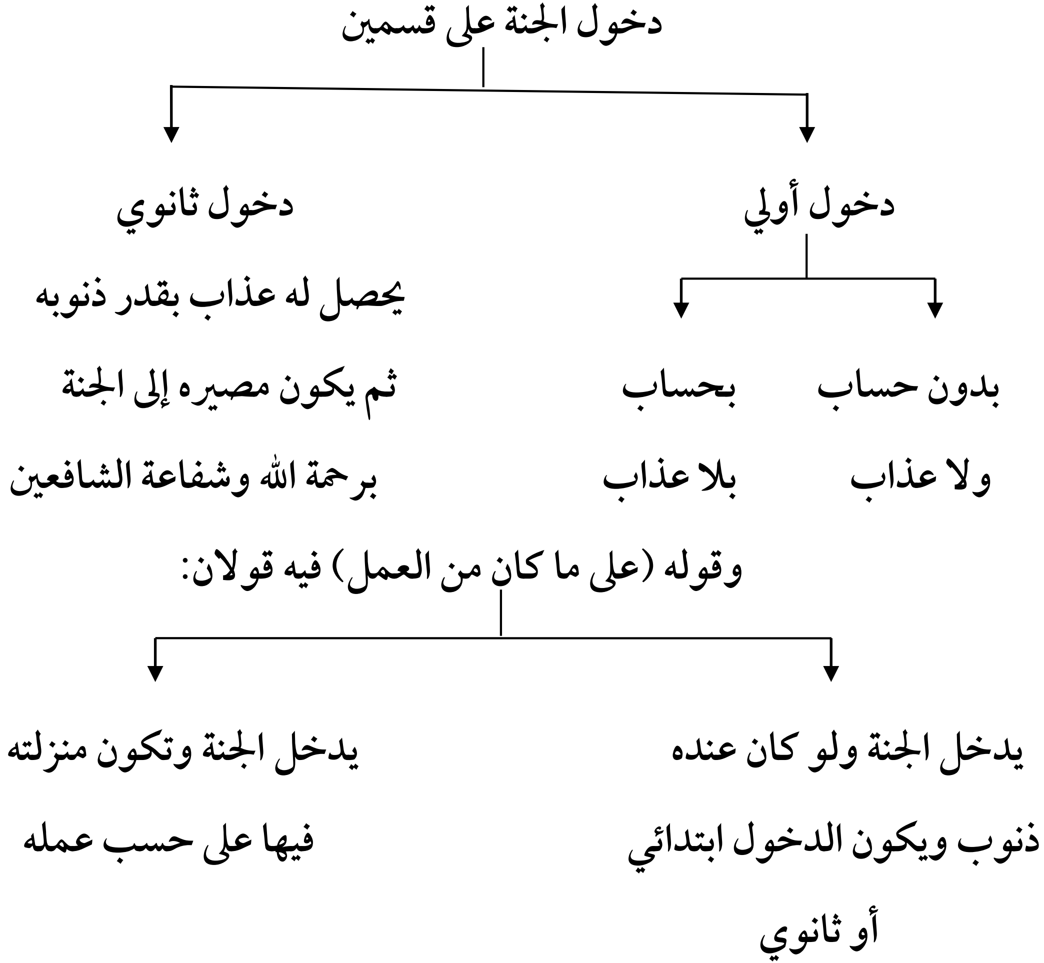
ولقوله (الجنة حق والنار حق) لأنهم أنكروا البعث والنشور.

٢ـ رد على النصارى لقوله (وأن عيسى عبد الله ورسوله) لأنهم جعلوه ابن الله.

٣ـ رد على اليهود لقوله (وأن عيسى عبد الله ورسوله) لأنهم قالوا إنه ابن زنا.

قوله (روح منه) من للابتداء أي هو من الأرواح التي خلقها الله عنده وهذا من باب إضافة المخلوق إلى الخالق إضافة تشريف.

والجنة والنار موجودتان لا تفنيان خلافا للجهمية.



ولهما في حديث عتبان: (فإن الله حرم على النار من قال...) الحديث.

تحريم النار على قسمين:

تحريم الدخول

تحريم الخلود

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (قال موسى يا رب ...) الحديث.

الحديث ضعيف ، ولمعناه شواهد.

قوله: (عامرهن)أي: من فيها من عمارها وهم الملائكة، وقيل : عامرهن، أي خالقهن .

وفيه: أن لا إله إلا الله أثقل من السماوات والأرض.

وللترمذي وحسنه عن أنس قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم – يقول:

((قال الله يا عبادي...)) الحديث.

(قراب الأرض) أي: ما يقارب ملء الأرض.

إذا حصل من الإنسان الشرك ثم تاب واستغفر دخل في هذا الحديث لأن التوبة تجب ما قبلها ولقوله تعالى في التائبين: {فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات}.

٣-(باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب)

وقول الله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِّ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ). وقال: (وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ).

عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدِغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه فأخبروه، فقال: (هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) فقام عكاشة بن محصن

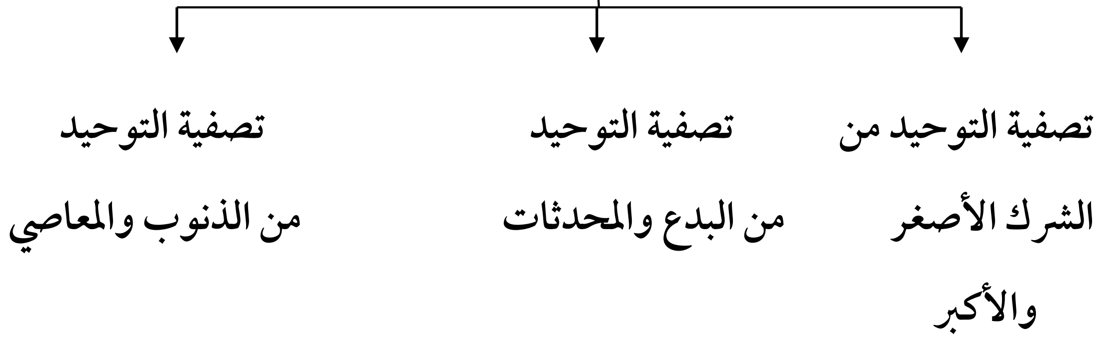
فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: (أنت منهم) ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: (سبقك بها عكاشة).

الشـــــــــــــــــــــرح

هذا الباب يعتبر تكملة للباب السابق لكن هذا الباب أخص.

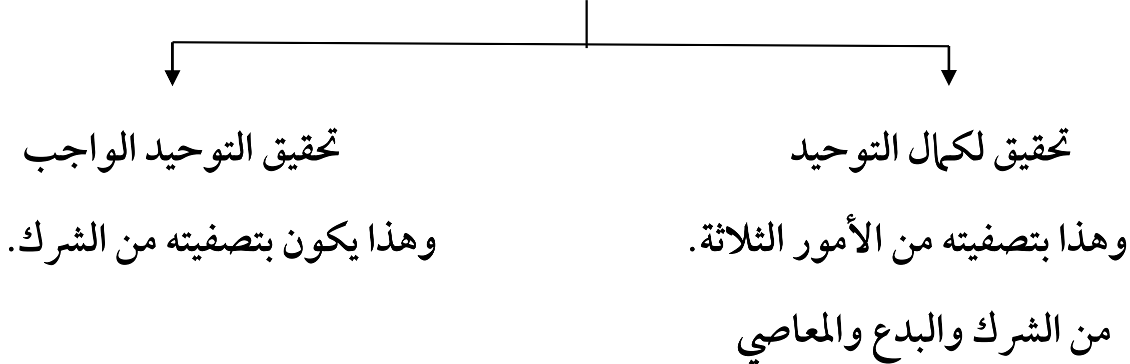
فائدة: ليس كل موحد يدخل الجنة بغير حساب.

تحقيق التوحيد يتضمن ثلاثة أمور:



تنبيه: المراد بهذه الأمور من لقي الله وليست عنده فمن عملها ثم تاب يعتبر محقق للتوحيد.

تحقيق التوحيد على قسمين:



فائدة: كمال التوحيد يتفاوت كما أن التوحيد الواجب يتفاوت.

وقول الله تعالى: {إن إبراهيم كان أمة...} الآية.

(أمة) أي إمام والإمام في الدين من اجتمعت فيه خصال الخير كلها.

(قانتا) من القنوت وهو الدوام على الطاعة.

(لله) اللام للاختصاص وهذا أساس التوحيد وهو الإخلاص.

(حنيفا) لغةً مأخوذ من الحنف وهو الميل.

اصطلاحاً: مائلا عن الشرك وأهله وثابتا على التوحيد.

فائدة: الحنيف من الألفاظ المتضادة التي تفسر بالشيء وضده بحسب القرائن.

وقول الله تعالى: {والذين هم بربهم لا يشركون}.

هذه الآية ضمن صفات المؤمنين (لا يشركون) فهذه تدل على نفي الشرك الأكبر والأصغر.

وعن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير ... الحديث

(لدغت) أي لدغة حيوان ذا سم. (الحمة) هي السم.

قوله: (لا رقية إلا من عين أو حمة) أي لا رقية أنفع وأحسن وأوكد.

(عرضت عليَّ الأمم) إما أن يكون العرض في المنام أو في ليلة المعراج والأول أحسن.

(الكي) هو وسم الجسد بحديد محمي بالنار . (الطيرة) هي التشاؤم

مسألة: الرقية والكي من الأسباب فلماذا تناقض التوكل؟

الجواب: لأن الرقية والكي كانت من أنفع أدوية العرب فكانوا يتعلقون بها أكثر من غيرها فلذلك كرهها الشرع والله أعلم.

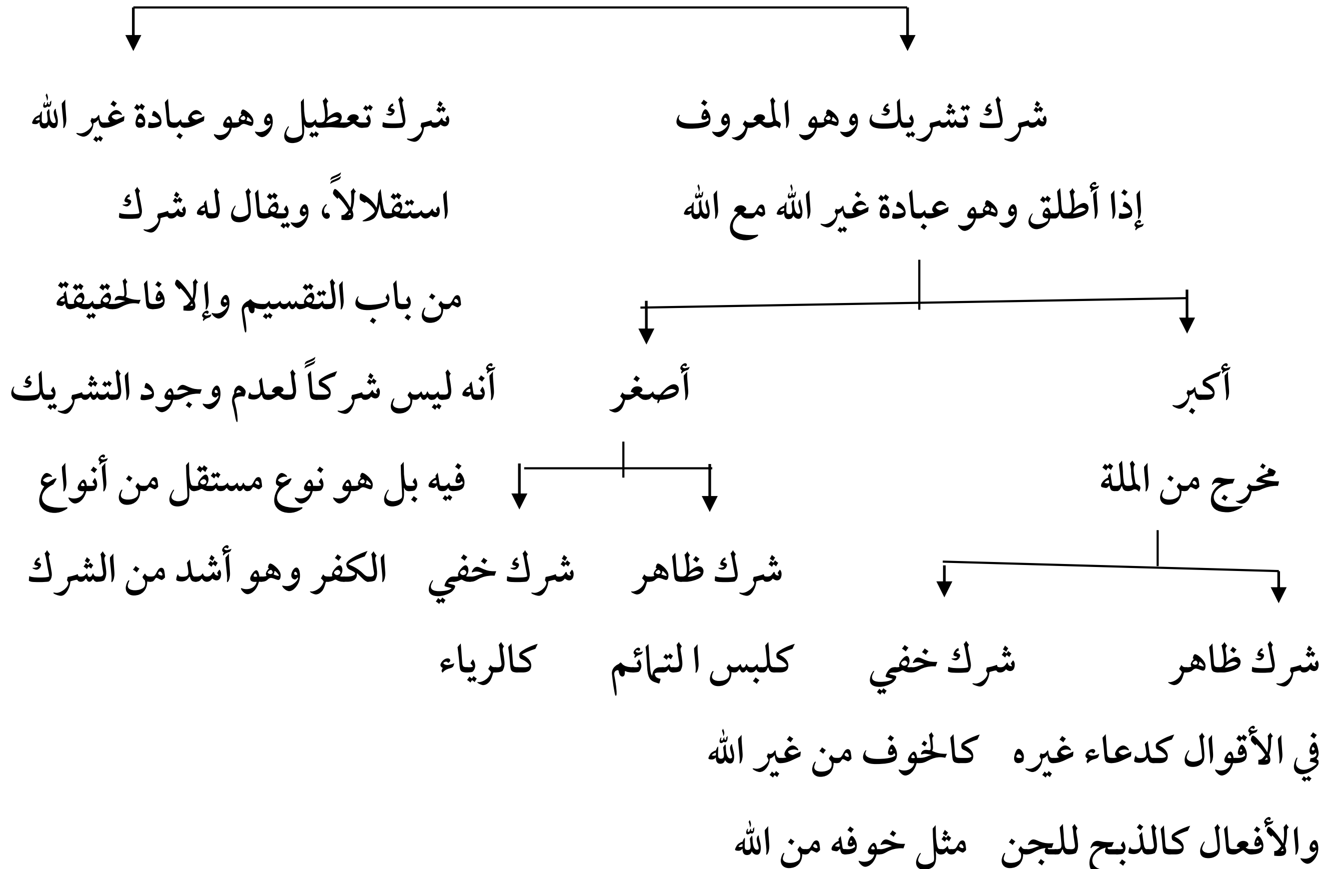
٤-باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل: (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء) وقال الخليل عليه السلام: (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) وفي حديث: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)، فسئل عنه فقال: (الرياء) وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار) [رواه البخاري]. ولمسلم عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار).

الشــــــــــــــــرح

مناسبة هذا الباب أن من حقق التوحيد كان خوفه من الشرك أكثر من غيره لعلمه بخطورة الشرك وتأثيره على التوحيد.

أقسام الشرك



*الشرك الأكبر: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

*الشرك الأصغر: هو ما كان وسيلة للشرك الأكبر.

وقوله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} الآية.

يدخل فيها الشرك الأكبر والأصغر، وهذا ترجيح شيخ الإسلام.

قوله: (ما دون ذلك) أي من الكبائر والصغائر، وهذا يكون تحت المشيئة إن شاء الله غفر له بفضله وإن شاء عذبه بعدله ..

وفي هذه الآية رد على الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون صاحب الكبيرة، لأن الكبائر دون الشرك والآية نص أن ما كان دون الشرك فهو تحت المشيئة، ولو كان كافرا كما تقول الخوارج والمعتزلة، لحكم عليه بعدم المغفرة، فتأمل!

وفي قوله: (لمن يشاء) رد على المرجئة، وذلك لأنهم يشهدون بالمغرة والجنة لكل مسلم مهما عصى وأذنب، والآية تنص على أن منهم من يعذب.

فائدة: هذه الآية العظيمة من أحكم الآيات في كتاب الله التي ترد إليها كثير من الآيات المشتبهة على بعض الناس،

وقال الخليل – عليه السلام – {واجنبني وبني أن نعبد الأصنام}

(واجنبني) أبلغ من وابعد عني. لأنه تقتضي البعد عن الشيء وعن أسبابه.

الخلة: أعلى مراتب المحبة.

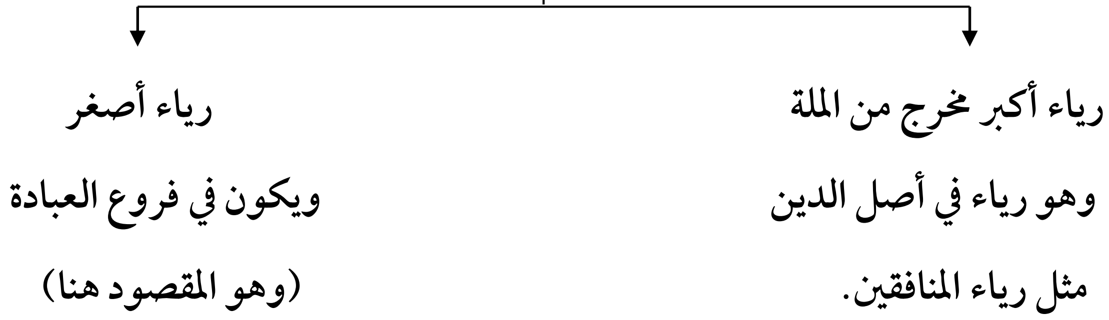
الأصنام: ما كان على صورة ذي روح.

الأوثان: ما كن على صورة غير ذي روح، وقيل : هما بمعنى واحد.

وفي الحديث: ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر...)) الحديث.

الرياء مأخوذ من الرؤية لأن المرائي يعمل العمل ويحسنه من أجل أن يراه الناس.

أقسام الرياء



مسألة: هل الرياء يفـســـد العمل؟

الجواب :إذا كانت العبادة متصلة فالرياء يفسدها كالصلاة، وإذا كانت منفصلة عن العبادة فيفسد العمل الذي دخل عليه الرياء فقط، كالصدقة.

وعن ابن مسعود –رضي الله عنه – أن رسل الله – صلى الله عليه وسلم – قال:

((من مات...)) الحديث، هذا نص على أن من لم يتب من الشرك فهو من أهل النار

(الند): هو الإله والمعبود من دون الله.

دخول النار على قسمين (كما تقدم).

ولمسلم عند جابر –رضي الله عنه –أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – (...) الحديث.

شيئاً نكره في سياق النفي تفيد العموم فتشمل الشرك الأكبر والأصغر.

❊ من أضرار الشرك:

١ـ أن الله لا يغفر لصاحبه إذا مات ولم يتب.

٢ـمن مات على الشرك الأكبر مخلد في النار.

٣ـ يحبط جميع الأعمال الصالحة {ولو أشركوا لحبط عمهم ما كانوا يعملون} الآية

٤ـ من مات على الشرك الأكبر تحرم عليه الجنة.

٥ـ يورث الخوف في الدنيا والآخرة. وله أضرار أخرى.

٥-باب: الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقوله الله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي) الآية.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ـ وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله ـ فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه. فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: (أين علي بن أبي طالب؟) فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم). يدوكون: يخوضون.

الشـــــــــــــــــرح

من حسن تصنيف المؤلف أن بدأ بذكر الأبواب التي فيها إصلاح الإنسان نفسه ثم ذكر الأبواب التي فيها سعيه في إصلاح غيره

قال تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة}

أي طريقتي وهي الدعوة إلى الله على بصيرة

(أدعوا إلى الله) فيها الإشارة إلى الإخلاص بأن تكون الدعوة لله وحده.

(على بصيرة) أي على علم وفيه رد على من يدعو بدون علم مثل جماعة التبليغ وبعض الإخوان المسلمين والمتصدرين للفتوى في الشبكات وليسوا من أهل الفتوى.

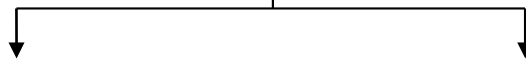
(أنا) الضمير يعود على النبي – صلى الله عليه وسلم –.

عن ابن عباس – رضي الله عنه – أن رسول الله لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: ((إنك تأتي قوم من أهل الكتاب...)) الحـــديث.

فيه أن أول ما يدع إليه الإنسان التوحيد وبدأ بالصلاة لأنها أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

(الصدقة) المراد بها هنا الزكاة الواجبة كما في قوله تعالى: {خذ من أموالهم صدقة...} أي زكاة

كرائم أموالهم لها تفسيران



الأموال النفيسة — وهذا هو الصحيح والمشهور

ما يكرمونك به من الهدايا — لأن هدايا العمال غلول

ولهما عن سهل بن سعد –رضي الله عنه–أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قال يوم خيبر... الحـــديث

(يفتح الله على يديه) هذه معجزة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث وقع الأمر كما أخبر، وفيه كرامة لعلي – رضي الله عنه – حيث حصل هذا الفتح على يديه و مثلها تفله – صلى الله عليه وسلم – في عين علي وشفاؤها في الحال فهي معجزة وكرامة، والله أعلم.

والشاهد من الحديث قوله ((ثم ادعهم إلى الإسلام)) أي التوحيد.

٦-باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) الآيه وقوله: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) الآية. وقوله: (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ) الآية. وقوله: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ) الآية.

وفي (الصحيح) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل).

وشرح هذا الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها: وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبيَّنَها بأمور واضحة.

الشـــــــــــــرح

التوحيد أعم من لا إله إلا الله وهذا من باب إضافة الخاص إلى العام لمزيد اهتمام به.

وقول الله تعالى: {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة...}

معنى الآية أي أنه كان رجال يعبدون جناً فأسلم الجن، والإنس مستمرون على شركهم في عبادة أولئك الجن وصار أولئك الجن يطلبون من الله الوسيلة والقربة.

والشاهد أن العبادة لا تكون إلا لله فلا يجوز صرفها لأحد وإن كان نبياً أو ملكاً أو ولياً أو صالحاً.

وقول الله تعالى: {وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه...} الآيـــــات

(براءٌ) مأخوذ من برأ ومعناه [قطع] بمعنى المقاطعة والترك للشرك وأهله.

(فطرني) خلقني على غير مثال سابق.

فائدة- قال العثيمين: عليه رحمة الله -: لماذا قال إبراهيم – عليه السلام – إلا الذي فطرني ولم يقل: إلا الله؟

قال: فيه فائدتان:

الأولى: الإشارة إلى سبب إفراد الله بالعبادة كما أنه متفرد بالخلق يكون منفرداً بالعبادة ويجب أن يُفرد بها.

الثانية: الإشارة إلى بطلان عبادة الأصنام لأنها لم تفطرهم حتى يعبدوها.

وقوله تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً...} الآيـــــة.

الأحبار: جمع حبر وهم علماء اليهود.

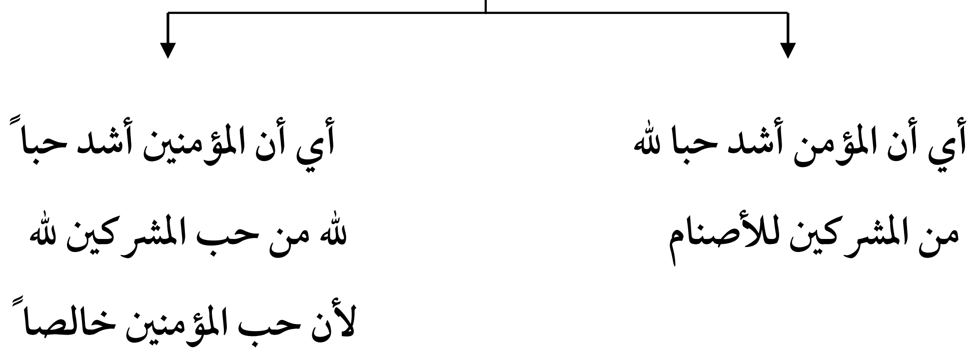
الرهبان: جمع راهب وهم عباد النصارى.

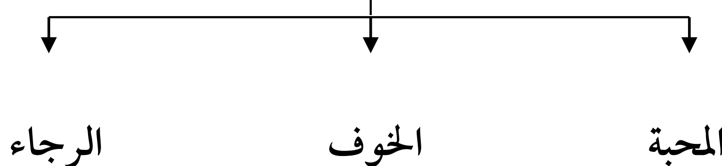
ومعناه أن طاعة الأحبار والرهبان في تحريم الحلال وتحليل الحرام إذا أعتقد ذلك فقد عبدهم.

وقوله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً...) الآيــة.

المراد بالناس هنا: المشركون وهذا شرك في عمل قلبي وهو المحبة

فمن أحب غير الله كحب الله أو أشد فهذا قد اتخذه ندا لله.





قال بعض السلف المحبة للعبادة كالرأس للطائر.

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله -: (المحبة رأس العبادة لأنها مطلوبة لذاتها وهي الباقية في الدنيا والآخرة.)

وذلك أن المؤمن إذا دخل الجنة أمن مما يخاف ونال ما يرجو فلا يبقى عنده من هذه العبادات إلا المحبة ولا تزال في زيادة لما يرى من إكرام الله له، والله أعلم.

وفي الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله...)) الحـــديـــث.

لا يكون المسلم مسلماً إلا بالنفي والإثبات [نفي المعبودات الباطلة، وإثبات العبودية لله].

(ما يعبد) ما اسم موصول يدل على العموم.

ومن قال لا إله إلا الله حَرُمَ ماله ودمه فإذا عمل بعد ذلك ما ينقضها فهو حلال الدم والمال . [بالشروط والموانع]

٧-باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه.

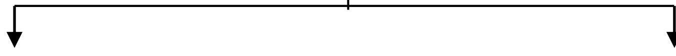
وقول الله تعالى: (قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) الآية.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: (ما هذه)؟ قال: من الواهنة. فقال: (انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبداً) رواه أحمد بسند لا بأس به. وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له) وفي رواية: (من تعلق تميمة فقد أشرك). ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون).

الشـــــــــــــــرح

قوله: (من الشرك): إما الأصغر أو الأكبر بحسب اعتقاد فاعل ذلك فإن لبس الحلقة ونحوها

لبس التمائم على قسمين:



شرك أكبر

إن اعتقد أنها تضر

وتنفع بنفسها

شرك أصغر

إن اعتقدها سبباً

والضر والنفع إنما هو من الله

وكونه شركاً أصغر لأنه جعلها سببا

وهو سبب غير مأذون به شرعاً

قوله (الحلقة) سواء كانت من حديد أونحوه من الأشياء الصلبة أو اللينة.

قوله: (رفع البلاء أو دفعه) الرفع يكون بعد نزول البلاء، والدفع قبل نزوله حتى لا ينزل.

قوله تعالى: (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله...)

يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة وسيأتي الفرق بينهما بعد أبواب.

قوله: (عن عمران بن حصين أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذا؟ قال: من الواهنة، قال: أنزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً). الحديث رواه أحمد <٤/ ٤٤٥> وسنده ضعيف، وهو في الضعيفة للألباني <١٢٩>.

قوله (من صُفر) بضم الصاد وسكون الفاء وهو النحاس.

وقوله (من الواهنة) في النهاية لابن الأثير: الواهنة عرق يأخذ في المنكب.

وقال غيره في العضد واليد.

وقوله (وهناً) أي ضعفا في بدنك ودينك.

قوله (ما أفلحت أبداً) نفي الفلاح كلياً إن اعتقد أنها تؤثر بنفسها لأن ذلك شرك أكبر، وإما نفيٌ لكمال الفلاح إن كان شركاً أصغر، والله أعلم.

والحديث وإن كان ضعيفاً إلا أن معناه من حيث الجملة صحيحاً.

قوله (وله عن عقبة مرفوعاً< من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)

رواه أحمد < ٤/ ١٥٤ > وسنده ضعيف وهو في الضعيفة (١٢٦٦) ومعناه صحيح.

قوله (لا أتم الله له) أي لا يتم الله له مراد من تعليقها.

قوله (ودعة) الودع ما يخرج من البحر من الأصداف.

قوله (فلا ودع الله له) أي لا جعله الله في دعةٍ < وهي الراحة والسكون >.

قوله (وفي رواية: < من تعلق تميمة فقد أشرك >)

الرواية عند أحمد وسندها صحيح، وقوله (فقد أشرك) إما شركاً أكبر أو شركاً أصغر على حسب التفصيل المتقدم أول الباب.

قوله (ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون})

أثر حذيفة فيه ضعف يسير وله شاهد عند ابن أبي شيبة بدون ذكر الآية وهو حسن بدون ذكر الآية، ومعنى الآية: (وما يؤمن أكثرهم بربوبية الله إلا وهم مشركون بألوهيته) والله أعلم.

٨-باب ما جاء في الرقى والتمائم.

في (الصحيح) عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) [رواه أحمد وأبو داود]. وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: (من تعلق شيئاً وكل إليه). [رواه أحمد والترمذي].

(التمائم): شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

و(الرقى): هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله

صلى الله عليه وسلم من العين والحمة.

و(التولة): شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا رويفع! لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وتراً، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمداً بريء منه).

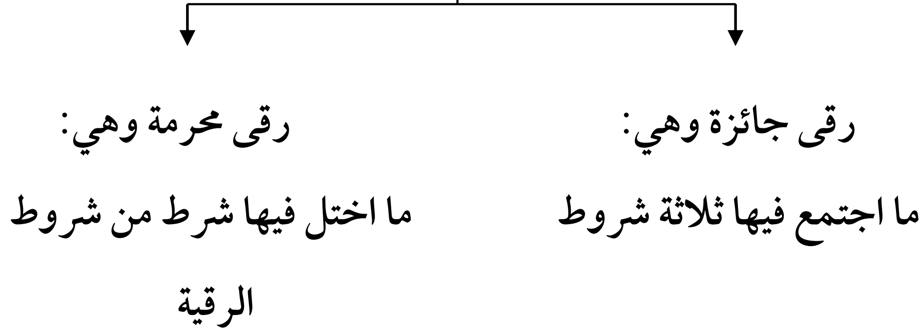
وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه، قال: (من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة) [رواه وكيع].

وله عن إبراهيم (١) قال: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن.

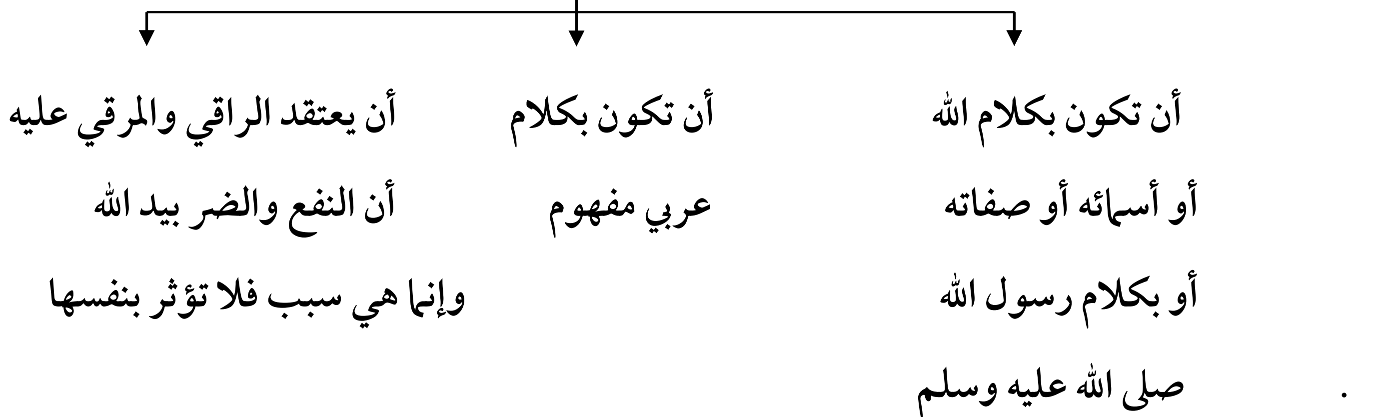
الشـــــــــــــــــــرح

الرقى جمع رقية وهي ما يقرأ على المريض.

أقسام الرقى



شروط الرقية



التمائم: جمع تميمة وهي ما يعلق على بعض أجزاء الجسد لدفع ضر أو رفعه أو جلب نفعٍ أو بقائه.

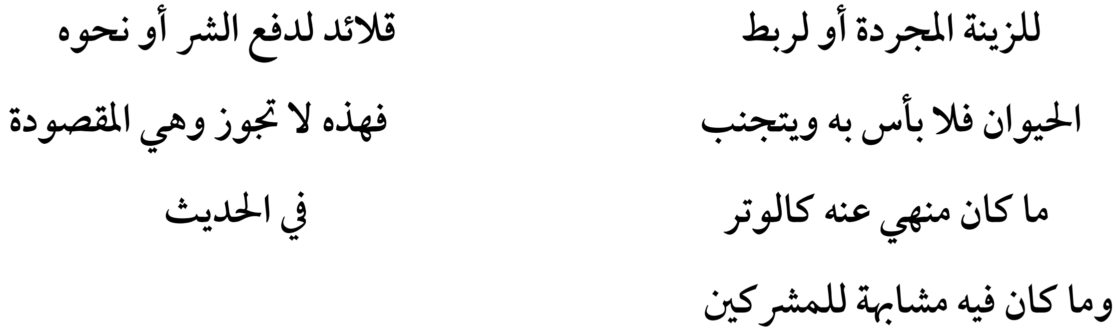
وتعليق التمائم بأنواعها محرم، فإذا اعتقد أنها تنفع وتضر بنفسها فهذا شرك أكبر، وإن جعلها سبباً فهو شرك أصغر، لأن الشرع لم يجعلها سبباً.

وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم – في بعض أسفاره ...الحـــديث

الوتر: نوع من الجلد يشد به القوس فإذا صار لا يصلح للقوس يجعل قلادة.

وخص الوتر لأنه كان أكثر استعمالهم لها على البعير.

تعليق القلائد نوعان

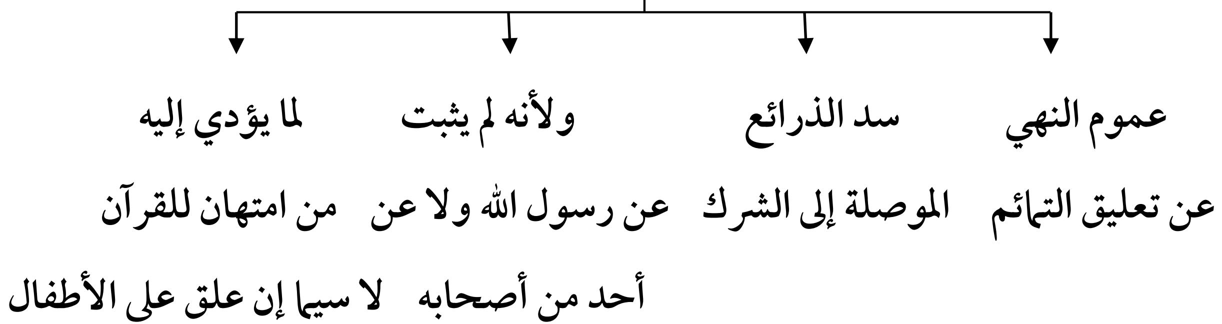


وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله يقول ... الحـــديث

التولـــة: نوع من أنواع السحر، ويسمى بسحر العطف والمحبة.

وهو أشد هذه الأمور المتقدمة؛ لأنه سحر والسحر كفرٌ.

إذا كان المعلق من القرآن لا يجوز، لأسباب:



وجاء التحريم عن ابن مسعود وغيره من التابعين وهو قول الجمهور، ورخص فيه بعض

التابعين، ولم يصح عن أحد من الصحابة إباحة ذلك.

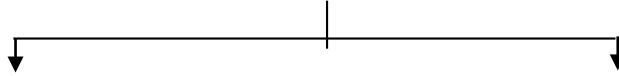
وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا: (من تعلق شيئاً وكل إليه) رواه أحمد والترمذي.

[إسناده ضعيف ومعناه صحيح].

وروى الإمام أحمد عن رويفع قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – ((يا روفع لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس...)).

فيه معجزة للنبي –صلى الله عليه وسلم–فقد طالت الحياة برويفع –رضي الله عنه – فإنه عاش بعد موت رسول الله اثنتان وخمسون سنة حيث توفي سنة (٦٣هـ)

عقد اللحية كانت العرب تعقدها لسببين:



للكبر و الخيلاء
وهذا محرم لعموم تحريم
الكبر ووسائله

لرد العين
يعقدها على هيئة تجعل
صورته قبيحة فترد العين
وهذا يدخل في الشرك الأصغر
لجعل ما ليس سبباً سببٌ

٩- باب من تبرك بشجرٍ أو حجرٍ أو نحوهما

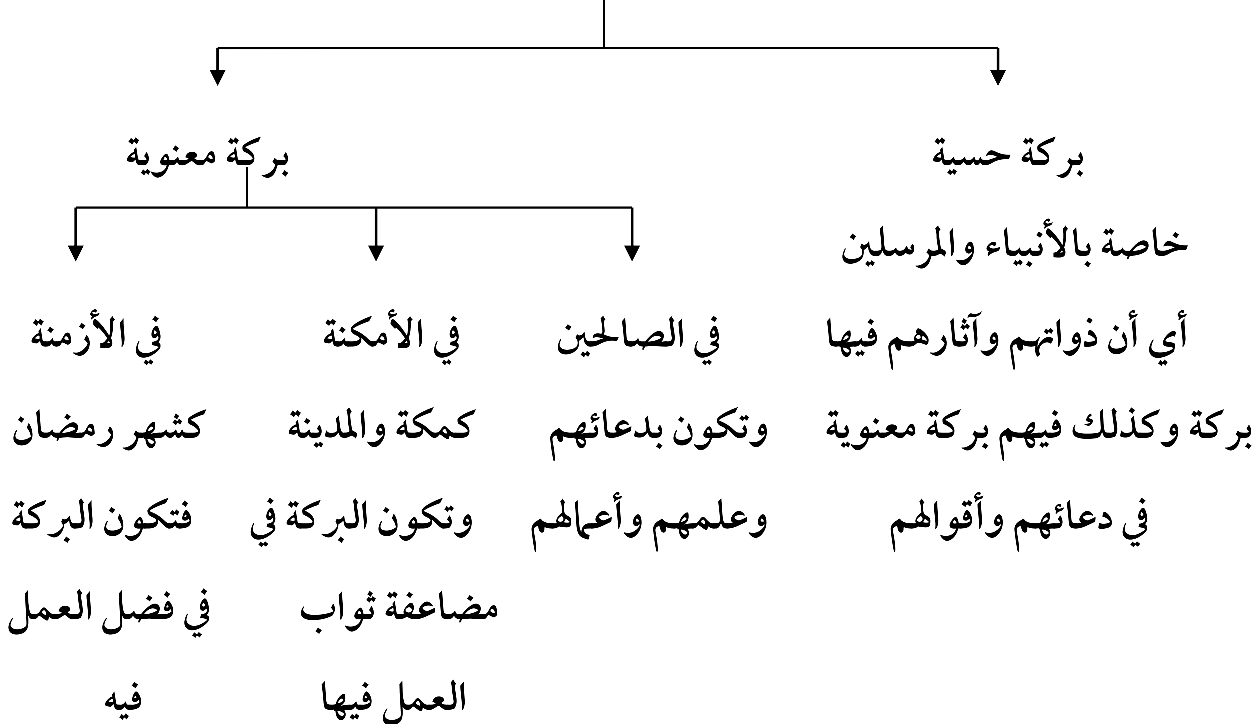
وقول الله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى) الآيات.

عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر! إنها السنن، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون) (٣٠) (لتركبن سنن من كان قبلكم). [رواه الترمذي وصححه].

الشـــــــــــــــــرح

التبرك مشتق من شيئين إما البروك بروك الإبل، وإما من البركة وهي التي يجتمع فيها الماء الكثير.

اصطلاحاً: هو طلب البركة، والبركة هي الخير الكثير الدائم.



التبرك على قسمين:



.

وقول الله تعالى: {أفرأيتم اللت والعزى. ومناة الثالثة الأخرى}

هذا الاستفهام إنكاري ينكر الله به على المشركين اعتقادهم في هذه الأصنام المذكورة.

اللات: بتخفيف التاء قراءة الجمهور رجل كان يلت لهم السويق.

السويق: طحين الشعير المقلي، وقيل هو حجر.

والظاهر أنه حصل الأمرين صوروا على الصخرة التي كان يلت عليها السويق صورة ذلك الرجل فعبدوه من دون الله.

مناة: حجر. العزى: شجرة.

وعن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى حنين... الحديث.

جمع الكفار عند هذه السدرة ثلاثة أعمال من الشرك:

١-الاعتكاف ، ٢-التبرك بها ، ٣-اعتقاد الضر والنفع

السنن بضم السين : الطُرق ، وبالفتح : الطريق.

س/ ما الفرق بين قول بني إسرائيل وبين قول من قال من الصحابة؟

أولاً: الذين قالوا هذا هم حدثاء عهد بالإسلام وليس جميع الصحابة ثم إن بني إسرائيل قالوا وفعلوا وهؤلاء قالوا ولم يفعلوا.

ثانياً: شرك هؤلاء شرك أصغر لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يأمرهم بتجديد إسلامهم، وشرك بني إسرائيل أكبر حيث طلبوا إلهاً من غير الله.

ثالثاً: بنو إسرائيل قد فعلوا ذلك بعد النهي حيث عبدوا العجل، أما هؤلاء الصحابة فلم يفعلوا.

١٠-(باب ما جاء في الذبح لغير الله)

وقول الله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ) الآية، وقوله: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ).

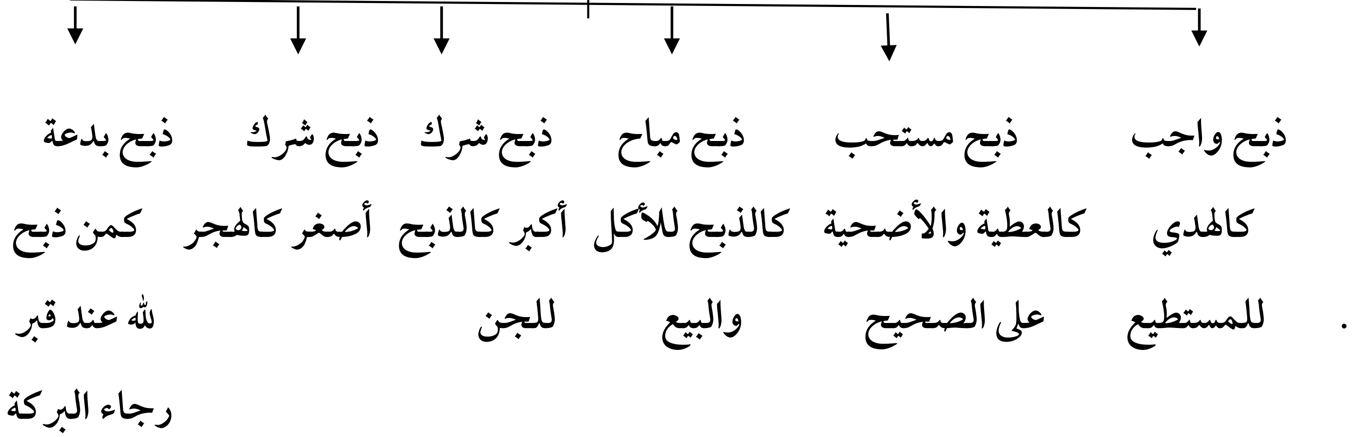
عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: (لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن ووالديه. لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض) [رواه مسلم].

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب) قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: (مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة) [رواه أحمد].

الشـــــــــــــــرح

الذبح لغةً: القطع، وإصلاحاً قطع الودجين والحلقوم بآلة حادة غير السن والظفر.

أقسام الذبح:



فالثلاثة الأُول ذبح جائز ومشروع والثلاثة الأُخر ذبح غير مشروع.

وقول الله تعالى: {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله...}

النسك هو الذبح.

وقول الله تعالى: {فصل لربك وانحر}.

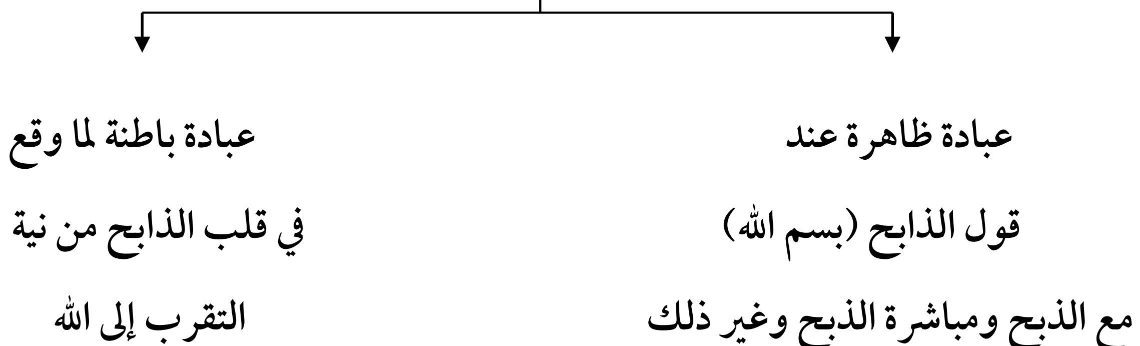
الذبح يكون لبهيمة الأنعام عدا الإبل فيكون فيها النحر وكذا الخيل عند الحاجة.

ونقل النووي الإجماع على جواز نحر المذبوح وذبح المنحور، والأولى وضع كل شيء في موضعه والله أعلم، مع أن الصحيح وجود الخلاف.

قال شيخ الإسلام: قَرَنَ الله الذبح بالصلاة في موضعين من كتابه، وذلك لأن الصلاة البدنية والذبح أجل العبادات المالية.

اللام في كل من (لله) (لربك) لام الاختصاص؛ أي أن الذبح تعبداً خاصاً بالله.

الذبح من أجل العبادات لأن فيه عبادتان:



وعن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال حدثني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأربع كلمات...الحـــديث.

(اللعن) هو الطرد من الرحمة الخاصة.

أهل البدع من المحدثين لقوله– صلى الله عليه وسلم – ((كل محدثة بدعة))

ويدخل في إيواء المحدث من يؤوي الذين يفسدون في الأموال والأعراض والدماء.

الشاهد: لعن الله من ذبح لغير الله.

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:

((دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب...)) الحديـــث

طارق بن شهاب اختلف في صحبته وهو يرويه عن سلمان موقوفاً وهو الصحيح، ورواية الرفع خطأ، كما بين ذلك الألباني في الضعيفة برقم(٥٨٢٩).

فائدة: إراقة الدم تقرباً لغير الله شرك أكبر وإن كان بشيء يسير.

مسائل:

١–من ذبح وتعمد ترك التسمية لا تجوز ذبيحته.

٢–من ذبح ونسى التسمية لا شيء عليه على الصحيح ودل على ذلك عموم أدلة العفو عن النسيان.

فائدة: الذبح عند الاستسقاء بدعة إذا نواها لله، وإن كانت لغير الله فشرك.

٣–ذبيحة أهل الكتاب جائزة أما إذا تيقن أنه عند الذبح يسمي باسم المسيح فهذا لا تجوز ذبيحته.

١١-باب: لا ذبح في مكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: (لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا) الآية.

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد)؟ قالوا: لا. قال: (فهل كان فيها عيد من أعيادهم)؟ قالوا: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم) [رواه أبو داود، وإسنادها على شرطهما].

الشـــــــــــــــــرح

هذا الباب ذكره المؤلف لبيان سد الذرائع الموصلة إلى الشرك.

الذبح عند قبر أو مكان يعظمه أهل الشرك له حكمان

بدعـــــــــة	شرك أصغر
لأنه خصص مكان للذبح بغير دليل.	لأنه ذريعة للشرك الأكبر

ولأن الذبح عبادة فلا يكون إلا بمكان أذن الله به، وكيف وقد نهى رسول الله عن ذلك.

وقول الله تعالى: {لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى...}. هذا الخطاب للنبي – صلى الله عليه وسلم – ينهاه الله أن يقوم في مسجد بناه المنافقون.

فائدة: المسجد الذي أسس على التقوى هو قباء وقيل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به قباء ويدخل فيه المسجد النبوي من باب أولى؛ لأنه أفضل ولأنه أسس على التقوى كذلك

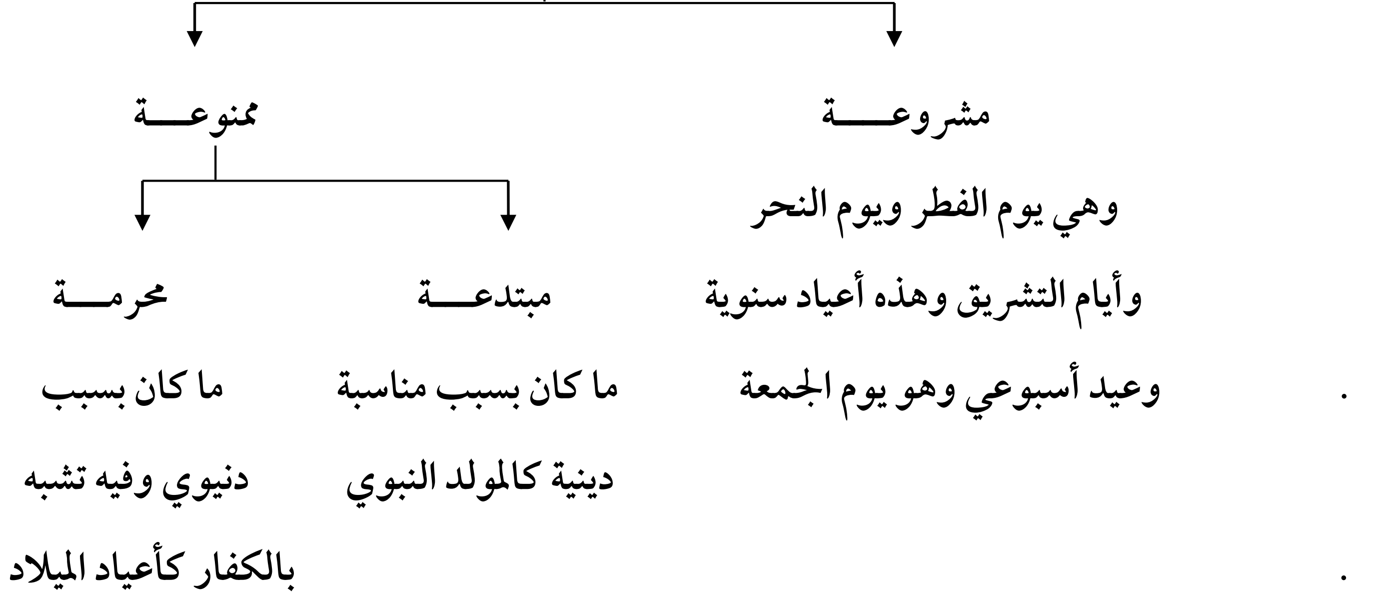
الطهارة على قسمين:

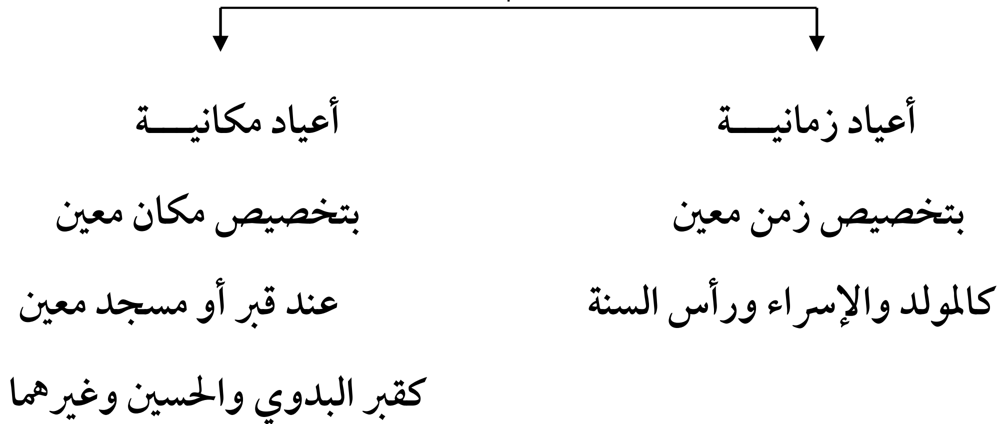
طهارة حسية	طهارة معنوية
وهي طهارة الثياب وغيره من الأوساخ	وهي طهارة القلب من الشرك والبدع والمعاصي

وعن ثابت بن الضحاك –رضي الله عنه – قال: نذر رجل أن ينحر... الحديث

بوانه: منطقة بين يلملم ومكة.

ومناسبة السؤال أنه نذر أن ينحر بمكان مخصوص.





١٢-باب: من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) وقوله: (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللهَّ يَعْلَمُهُ)

وفي (الصحيح) عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه).

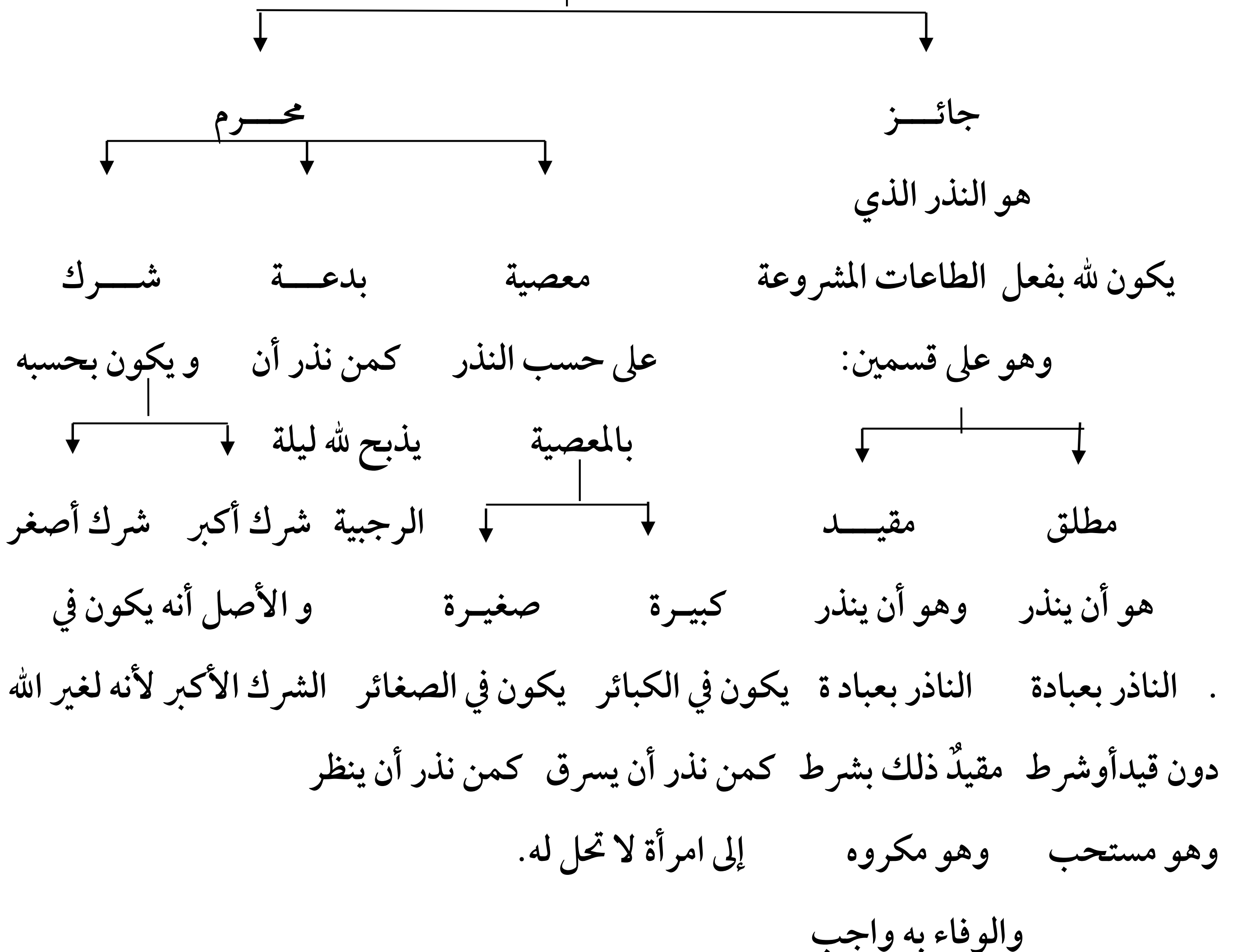
الشـــــــــــــــــرح

كل نذر لغير الله يعتبر شركاً.

النذر لغةً: هو القطع والجزم.

اصطلاحاً: هو إيجاب المكلف على نفسه عبادة لم يؤمر بها شرعاً.

النذر على قسمين:



مسألة/ من نذر نذراً ممنوعاً فماذا يلزمه؟

الجواب: أولاً التوبة إلى الله، ثانياً الكفارة (كفارة يمين) وهذا صح عن ابن عباس وابن مسعود.

مسألة/ ما حكم نذر اللجاج؟

الجواب: أولاً اللجاج هو: الاستمرار في الشيء سواء ًكان جائزاً أو مكروهاً أو محرماً قال الجمهور هو مخير بين الوفاء والكفارة إن كان مكروهاً أو جائزاً، فإن كان محرماً فلا يجوز له الوفاء به بل يجب عليه الرجوع عنه مع الكفارة، واختاره شيخ الإسلام وابن القيم والإمام ابن باز والعثيمين.

مسألة/ ما حكم من نذر نذراً لا يطيقه سواء ًكان مطلقاً أو مقيداً؟

عليه الكفارة. قاله ابن عباس، وفيه حديث صحيح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

مسألة/ ما حكم من نذر فيما لا يملك؟

النذر باطل ولا يلزمه شيء وعليه التوبة، وقال بعضهم عليه كفارة يمين والأول الأقرب.

١٣-باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) (٣٨).

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك) [رواه مسلم].

الشــــــــــــــــرح

الاستعاذة لغة ً: طلب العوذ والالتجاء.

اصطلاحاً: هي الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه.

الألف – والسين –والتاء تدل على الطلب غالباً، وقد تأتي ويراد بها الكثرة

كقوله تعالى: {واستغنى الله} أي كثر غناه.

والمؤلف رحمه الله أطلق الاستعاذة بغير الله كلها على أنها شرك وهذا هو الأصل.

ومن العلماء من يرى أن الاستعاذة بغير الله فيها تفصيل، ومنهم من يرى أنها شرك مطلقاً، والصواب التفصيل ومن أطلق يحمل كلامه على الممنوع منها.

أقسام الاستعاذة:

واجبة أو مستحبة	جـــائزة	محرمـــة
تكون بالله وبأسمائه وصفاته	تكون بإنسان حي قادر حاضر أو غائب نزل منزلة الحاضر وهذا جائز لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من وجد ملجأً أو معاذاً فليعذ به)	شرك أكبر وتكون بغير الله فيما لا يقدر يقدر عليه إلا الله كالاستعاذة بغير الله من النار.

وقول الله تعالى: {وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن...} الآيـــة.

جاء عن مجاهد وقتادة أن المشركين كانوا إذا خرجوا ونزلوا منزلاً يزعمون أن هذا الوادي في سلطان الجن فيستعيذون بزعيم الجن هذا الوادي من شر أهل هذا الوادي.(بتصرف)

{رهقا} قيل خوفاً وقيل إثماً، والمعنى يشمل الجميع.

وعن خولة بنت حكيم -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله ...)) الحديث

خولة بنت حكيم: قيل إنها من جملة الواهبات أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم.

نزل منزلا: أي مكانا للراحة أو الأكل أو المقيل ونوه.

كلمات الله: كلمات الله من صفاته سبحانه، وهذا فيه دليل على أن القرءان غير مخلوق لأنه من كلماته،

وفيه: جواز الاستعاذة بأسماء الله وصفاته، ولا يستعاذ بمخلوق.

التامات: الكاملات التي نقص فيها بوجه من الوجوه، لانها صدق في الأخبار عدلا في الأحكام.

(ما خلق): ما: موصولة بمعني الذي، أي: الذي خلق، وهي تفيد العموم.

فائدة: المخلوقات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مخلوقا خير محض، كالرسل والجنة

الثاني: مخلوقات شر كإبليس

الثالث: مخلوقات فيها خير وشر كسائر المخلوقات.

١٤- من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعوا غيره

وقوله تعالى: (وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ) (٣٩) الآية. وقوله: (فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ)(٤٠) الآية. وقوله: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ) (٤١) الآيتان. وقوله: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) (٤٣).

وروي الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل).

الشـــــــــــــرح

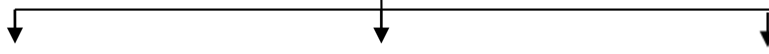
جمع المؤلف في هذا الباب بين أمرين : الاستغاثة والدعاء، والاستغاثة داخلة في الدعاء لأنها بعض أنواعه فذكرها من باب عطف العام على الخاص، وبين الدعاء والاستغاثة عموم وخصوص فإن الدعاء يكون لطلب نفع ودفع ضر، أما الاستغاثة فلا تكون إلا لطلب دفع ضر.

والاستغاثة لغة: طلب الغوث

واصطلاحا: طلب العبد دفع مكروه نزل به،

والفرق بينها وبين الاستعاذة: أن الاستعاذة من ضر يتوقع حصوله، والاستغاثة من ضر حاصل.

أقسام الاستغاثة



استغاثة واجبة — استغاثة جائزة — استغاثة محرمة

وتكون بالله وبأسمائه. — بإنسان حي حاضر قادر. — وتكون بغير الله فيما حرمه الله أو فيما لا يقدر عليه إلا الله ومنها ما يكون شركا أو كبيرة أو صغيرة

الدعاء لغة: هو مطلق الطلب.

واصطلاحا: هو طلب جلب نفع أو دفع ضر، وهو ينقسم إلى قسمين: دعاء مسألة ودعاء وعبادة.

مسألة: الفرق بين دعاء المسألة ودعاء العبادة؟

الجواب: الفرق بينهما من أربعة أوجه:

الأول: دعاء المسألة يكون بلسان المقال ودعاء العبادة بلسان الحال

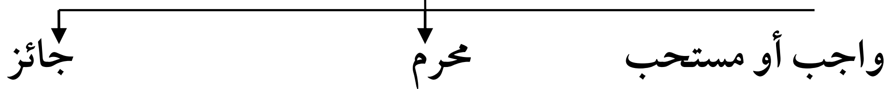
الثاني: دعاء المسألة متعلق بتوحيد الربوبية ، ودعاء العبادة متعلق بتوحيد الألوهية

الثالث: دعاء المسألة يجوز صرفه لغير الله بشروط ودعاء العبادة لا يجوز صرفه لغير الله مطلقا

الرابع: دعاء المسألة قد يقبله الله من الكافر عند الاضطرار، ودعاء العبادة لا يقبل إلا من المسلم.



أقسام الدعاء من حيث الحكم



واجب أو مستحب — محرم — جائز

كدعاء الله تعالى — ويكون بإنسان حي حاضر قادر.

دعاء شرك — بدعة — معصية

وهو أن تطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله — ويكون كدعاء الله عند قبر لاعتقاد البركة والاستجابة — ويكون بأن تطلب من شخص أن يعينك على معصية

وقول الله تعالى: {ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك...} الآية

{لمن الظالمين} أي الظلم الأكبر وهو الشرك.

المراد بالدعاء في الآية دعاء العبادة ودعاء المسألة فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وقوله تعالى: {إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم...} الآية

الرزق من عند الله وحده إذن فهو المستحق للعبادة وحده.

وقوله تعالى: {ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له...} الآية

أي لا يوجد من هو أشد ضلالا ممن يدعو من دون الله.

مسألة: لماذا حكم الله على هذا أنه أضل الناس؟

الجواب: لأربعة أمور:

١-لأنه دعا من لا يستجيب له. ٢-وإذا كان غافلاً لا يستجيب له لا لأنه مشغول.

٣-لأنه يكون يوم القيامة من أعدائك. ٤-لأنه يتبرأ منك يوم القيامة

قوله:(منافق يؤذي المؤمنين...) الحديث

الحديث ضعيف، وعلى فرض صحة الحديث على سد الذرائع؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقدر أن يكف أذى المنافق الذي يؤذي المؤمنين. وإنما قال تلك المقالة لقطع باب التعلق بغير الله، والله أعلم.

١٥-باب قول الله {أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون}. وقوله: (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ) الآية.

وفي (الصحيح) عن أنس قال: شُجَّ النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: (كيف يفلح قوم شَجُّوا نبيهم)؟ فنزلت: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ) وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: (اللهم العن فلاناً وفلاناً) بعدما يقول: (سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد) فأنزل الله

تعالى: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ) الآية وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ) وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال: (يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً).

الشـــــــــــــــرح

هذا الباب ذكره المؤلف وهو متعلق بتوحيد الربوبية الذي يستلزم توحيد الألوهية

وما تقدم من الأبواب متعلق بتوحيد الألوهية.

فإن الرسل جاؤوا لتقرير توحيد الألوهية ولم يعرف مخالف في توحيد الربوبية إلا من بعض الفلاسفة الدهرية الذين قالوا ما يهلكنا إلا الدهر، وكذلك النمرود بن كنعان الذي حاج إبراهيم . في ربه وفرعون، وكذلك الطبائعيون الذين يقولون لا إله والحياة مادة فهؤلاء ينكرون وجود الرب؛ أي توحيد الربوبية، والخطاب في الآية لكفار قريش.

{وهم يخلقون} أي الأصنام يتاجون من يخلقهم، ومثال هذا لا يصلح ليكون إلها.

وقوله تعالى: {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا...} الآية

القطمير: هو لفافة نواة التمر كما قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة.

مسألة: هل يسمع الأموات أو لا يسمعون؟ فيه خلاف

والصحيح أنهم لا يسمعون واستثنى بعض أهل العلم حالات خاصة، وهي:

١-بعد الدفن. لحديث أنس في الصحيحين(إذا وضع العبد في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم)

٧-عند السلام عليهم ، لكن الحديث الوارد في ذلك فيه ضعف.

ففي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال شج النبي – صلى الله عليه وسلم –.... الحديث الذي كسر رباعية النبي – صلى الله عليه وسلم – هو عتبة بن أبي وقاص ومات على كفره.

وفيه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يملك لنفسه شيئاً فكيف يملك لغيره، ومن باب أولى من كان دون النبي – صلى الله عليه وسلم –.

وفيه عن ابن عمر –رضي الله عنهما – أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة ...الحديث.

في الصحيح أنه قنت شهراً كاملاً في جميع الصلوات، وتخصيص القنوت بالفجر في بعض الأحاديث يحمل على المداومة في الفجر وتركه أحيانا في بقية الصلوات.

وفيه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قام فينا رسول الله ...الحديث.

(حين أنزل) حين أمر بالتبليغ.

(اشتروا) أي بطاعة الله وتوحيده.

فيه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يدخل الجنة أحدا، ولا يخرج من النار أحداً، وإنما الأمر في ذلك لله وحده، وأما حديث < اذهب فأخرج من النار من في قلبه ذرةً من إيمان > فيحمل على أنه يخرجهم بإذن الله، والله أعلم.

١٦-باب قول الله: {حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}

وفي (الصحيح) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك. حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ـ ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها عن لسان الساحر أو الكاهن

فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة ـ أو قال رعدة ـ شديدة خوفاً من الله عز وجل. فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا سجداً. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل).

الشـــــــــــــــرح

(فزع): أي ذهب عنهم الفزع، و (عن) تفيد المجاوزة؛ أي تجاوزوا الفزع.

وهذا الباب متعلق بتوحيد الربوبية من حيث عظمة الله تعالى وخوف الملائكة منه.

ومتعلق بتوحيد الألوهية لأن الخضوع عبادة والملائكة تخضع لله تعالى خوفاً منه.

وفي الصحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: {إذا قضى الله الأمر في السماء...} الحديث

(قضى) بمعنى أوحى.

ومنع الشياطين خبر السماء بعد البعثة وشدد الأمر عليهم وإلا قد كانوا منعوا قبل البعثة فشدد الأمر عليهم بعد البعثة.

١٧-باب: الشفاعة.

وقول الله تعالى: (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ) وقوله: (قُل لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) وقوله: (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) وقوله: (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى) وقوله: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ) الآيتين.

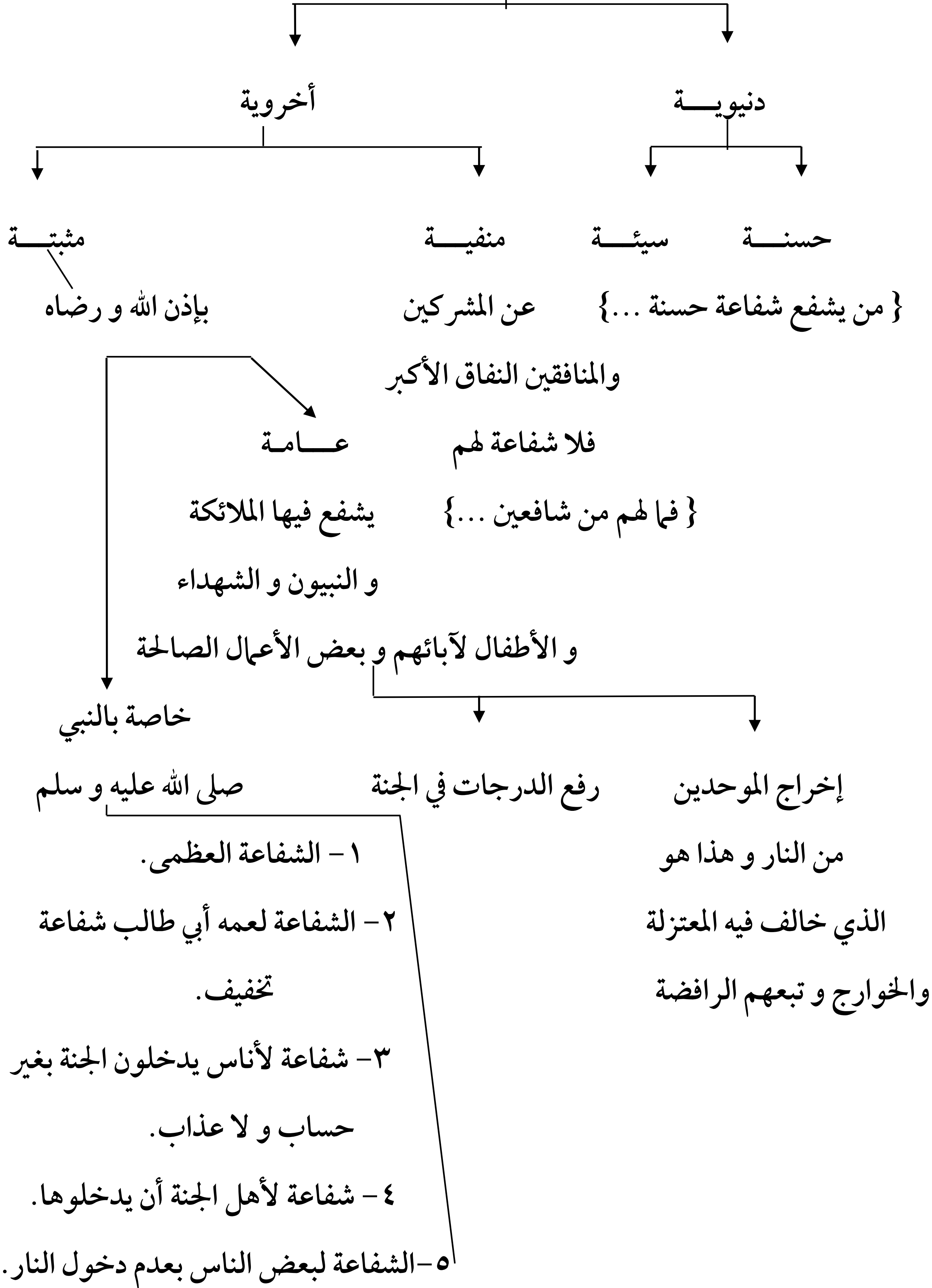
قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفع.

وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: (من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه) فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

الشـــــــــــــــــرح

الشفاعة لغةً: مأخوذة من الشفع وهو ضد الوتر؛ لأن الذي يقوم بها اثنان الشافع والمشفوع وهو صاحب الحاجة. واصطلاحاً: هي التوسط للغير في جلب نفع أو دفع ضر.


أقسام الشفاعة
دنيويـــة
أخروية
حسنـــة
سيئـــة
منفيـــة
مثبتـــة
{ من يشفع شفاعة حسنة ...}
عن المشركين
والمنافقين النفاق الأكبر
فلا شفاعة لهم
{ فما لهم من شافعين ...}
بإذن الله و رضاه
عـــامـة
يشفع فيها الملائكة
و النبيون و الشهداء
و الأطفال لآبائهم و بعض الأعمال الصالحة
خاصة بالنبي
صلى الله عليه و سلم
رفع الدرجات في الجنة
إخراج الموحدين
من النار و هذا هو
الذي خالف فيه المعتزلة
والخوارج و تبعهم الرافضة
١ – الشفاعة العظمى.
٢ – الشفاعة لعمه أبي طالب شفاعة
تخفيف.
٣– شفاعة لأناس يدخلون الجنة بغير
حساب و لا عذاب.
٤ – شفاعة لأهل الجنة أن يدخلوها.
٥–الشفاعة لبعض الناس بعدم دخول النار.

الشفاعة الأخروية المثبتة لها شرطان :



إذن الله للشافع أن يشفع	رضى الله عن الشافع و المشفوع
{من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}	{ و لا يشفعون إلا لمن ارتضى }

وقد جمع الله هذين الشرطين في سورة النجم بقوله تعالى:{ وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى }

مسألة/ ما دليل من أنكر الشفاعة وما الرد عليه؟

الجواب: استدل من أنكر الشفاعة بالأدلة التي تنفي الشفاعة، والرد عليهم أن الآيات التي جاءت في نفي الشفاعة وردت في حق الكفار، كما هو ظاهر من سياق الآيات قبلها وبعدها، والآيات المثبتة للشفاعة بإذن الله في حق عصاة الموحدين، ولا بد من هذا التفصيل وإلا لزم القول بتعارض القرآن وهذا كفر. والله أعلم

والآيات المثبتة للشفاعة عامة وتفسرها الأحاديث الصحيحة المتواترة.

فائدة: أحاديث الشفاعة من الأحاديث المتواترة رواها جمع كثير من الصحابة.

(وللإمام الوادعي رحمه الله كتاباً قيماً في الشفاعة لَم يُصنف مثله).

١٨-باب: قول الله {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين}

وفي (الصحيح) عن ابن المسيب عن أبيه قال: (لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: (يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله) فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فأعادا فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله عز وجل(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ) الآية. وأنزل الله في أبي طالب: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء)

الشـــــــــــــــــــرح

مسالة: ما علاقة التوحيد بالهداية؟

العلاقة أن أعظم الهداية هي الهداية إلى التوحيد وما بعدها إنما هو من كمال الهداية الواجبة ولا يصح بدونها.

أنواع الهداية:

الهداية العامة	هداية الدلالة	هداية التوفيق	الهداية الأخوية
لجميع المخلوقات في معرفة ما ينفعها وما يضرها قال تعالى:{الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى }	والإرشاد وهذه بيد الله وحده وجعل من خلقه و مما شاء أسباب لها مثل القرآن والأنبياء	والإلهام (الإعانة) وهي خاصة بالله ودليلها قوله تعالى: (ولكن الله يهدي من يشاء)	وهي هداية أهل الجنة إلى الجنة وهداية أهل إلى النار ودليلها قوله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت)

والناس يتفاوتون في الهداية كلٌ بحسبه.

فائدة: نفى الله تعالى عن نبيه الهداية كما في الآية، والمراد بها هداية التوفيق والإلهام،

وأما هداية الدلالة والإرشاد فقد أثبتها الله لنبيه في قوله تعالى: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}

فائدة: من أعظم أسباب الهداية الدعاء لما في مسلم عن أبي ذر مرفوعاً فيما يرويه عن ربه:

[يا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم] أي: اطلبوا مني الهداية.

١٩-باب: ما جاء في كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.

وقول الله عز وجل: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ).

وفي (الصحيح) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت).

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله) [أخرجاه].

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو).

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثاً.

الشـــــــــــــــرح

مســــألة: ما سبب كفر بني آدم؟

الجواب: سبب ذلك أمران هما:

١-الغلو في الصالحين وكان في قوم نوح. ← ❁ ومردهما التصوير

٢-تعظيم النجوم والكواكب وكان في قوم إبراهيم عليه السلام.

❁ فإن قوم نوح صوروا تماثيل لصالحيهم فطال الأمد فعبدوها، وقوم إبراهيم عليه السلام بنوا الهياكل للكواكب وصوروا فيها التماثيل لاعتقادهم أن للكواكب أرواح تحل في هذه التماثيل ثم عبدوها.

وقول الله عز وجل: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا ثلاثة...} الآية

الغلو: مجاوزة الحد فيمدحاً أو قدحاً، والمقصود هنا المبالغة في المدح.

فائدة: إذا أطلق الغلو يراد به الزيادة في المدح.

فاليهود زادوا في المدح في عزيرﷺ فقالوا ابن الله، والقدح في عيسىﷺ حيث قالوا إنه ولد زنا، والنصارى زادوا في مدح عيسىﷺ حتى عبدوه وقالوا هو ابن الله وثالث ثلاثة.

وفي الصحيح عن ابن عباس في قول الله تعالى: {وقالوا لا تذرن ءالهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث...} الحديث بتمامه.

الأثر لا يصح عن ابن عباس وسبب ذلك أنه من رواية ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وعطاء هو الخراساني وهو ضعيف وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء مباشرة بل سمعه من ابنه عثمان وهو ضعيف. وقد ورد مصرحاً به في تفسير عبد الرزاق أنه الخراساني وقد دافع الحافظ وغيره عن هذا الأثر.

وعن عمر أن رسول الله قال :((لا تطروني كما أطرت...)).

الإطراء: هو المبالغة في المدح خاصة، بعكس الغلو فإنه المبالغة في المدح أو الذم.

وقال: قال رسول الله ((إياكم والغلو فإنما أهلك...)) الحديث

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله قال: ((هلك المتنطعون)) قالها ثلاثاً كرره ذلك لأهميته، والتنطع هو: التكلف في البحث عن الشيء.

٢٠-باب: ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

في (الصحيح) عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها في أرض الحبشة وما فيها من الصور. فقال: (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله) فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: (لما نُزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم

بها كشفها، فقال ـ وهو كذلك ـ : ((لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، [أخرجاه].

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك).

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن ـ وهو في السياق ـ من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجداً، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، كما قال صلى الله عليه وسلم: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً). ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد) [رواه أبو حاتم في صحيحه].

الشـــــــــــــــــرح

وفي الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنها – أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة... الحديث

أم سلمة وزوجها ممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى ثم استشهد على إثر جراحه في أحد، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، وهي آخر أزواجه وفاة، توفيت عام ٦٢هـ، واسمها هند بنت أبي أمية.

الكنيسة: هي مكان العبادة للنصارى.   والمعبد: مكان العبادة لليهود.

وقد جمعوا بين فتنتين من أعظم أسباب الشرك، فتنة التصوير وبناء المساجد على القبور.

ولهما عنها قالت لما نزل برسول الله طفق بطرح ... الحديث

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس...الحديث

الخلة: هي أرفع درجات المحبة ولا تقبل المشاركة؛ أي لا تكون إلا لواحد في حق البشر أما في الحق الله فلا. فإن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً واتخذ محمداً خليلا. قد صرح النبي أن أحب أصحابه إليه هو أبو بكر.

قوله ((قبل أن يموت بخمس)) أراد أن يبين أن هذه الأمور لم تنسخ.

فائدة: النهي: بصيغته الصريحة لا يحتمل التأويل.

فائدة: الأرض كلها مسجداً وطهوراً إلا ما خصه الدليل كالحمام والمقبرة إلخ ...

فائدة: قال الإمام الصنعاني في مسألة إدخال قبر النبي إلى المسجد فقال:

المسألة دولية لا دليليه. أي أنها من فعل الملوك لا بإذن الشرع.

فائدة: عبادة الله عند القبور إما أن تكون بدعة أو شركاً أصغر وقد يُجمع فيها الأمران.

فائدة: قال الإمام المعلمين رحمه الله في كتابه (التنكيل):

> من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل <.

٢١-باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله.

روى مالك في (الموطأ): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى) قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج. [رواه أهل السنن].

الشـــــــــــــــــرح

هذا الباب يعتبر كالتتمة للباب المتقدم.

والغلو في الصالحين ممقوت لأنه يوصل إلى الشرك.

روى مالك في <الموطأ> أن رسول الله ﷺ قال ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد...)) الحديث

فائدة: الإمام مالك هو أول من ألف في علم الحديث وكتابه أحسن كتاب بعد الصحيحين.

ودعاء النبي ألا يجعل الله قبره وثناً يُعبد لأن بعض قبور الأنبياء عُبِدت من دون الله.

فائدة: الغلو في الصالحين وبناء المساجد على قبورهم لا يجوز لأمور:

١-اللعن لمن فعل ذلك. ٢-وصف من فعل ذلك بأنهم شرار الخلق.

٣-النهي الصريح عن ذلك. ٤-شدة غضب الله عليهم.

وعن ابن عباس ﷺ قال: لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. [رواه أهل السنن].

لفظ (زائرات) لم يصح.

ولفظ (وزوارات): أي المكثرات من الزيارة. [حسن هذه اللفظة الألباني رحمه الله].

(المتخذين عليها المساجد والسرج) لم تصح كذلك في هذا الحديث وإن كان معناه صحيحاً للأحاديث المتقدمة.

فائدة اتفق أهل العلم على تحريم اتخاذ السرج؛ لأنه يؤدي إلى تعظيمها فيُصِلُ إلى الشرك بالله سبحانه تعالى.

٢٢-باب: ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك.

وقول الله تعالى: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم) الآية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

وعن علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال: (لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم). [رواه في المختارة].

الشــــــــــــــــــرح

استنبط العلماء من مثل هذا الباب ومن غيره قاعدة (سد الذرائع) فكل طريق ووسيلة وذريعة توصل إلى الشرك الأكبر فهي شرك أصغر.

(المصطفى) ليس من أسماء النبي، وهو مأخوذ من الاصطفاء وهو الاختيار والاجتباء فهو وصف لا اسم.

(جناب التوحيد) أي حدود التوحيد، والجانب هو الركن.

(وسده كل طريق يوصل إلى الشرك) أي أغلق النبي كل طريق يوصل إلى الشرك ولو لم يكن هذا العمل شرك، لحماية التوحيد وحراسته.

وقول الله تعالى: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم...} الآية

الشاهد: (حريص عليكم) وأعظم حرص من النبي على هذه الأمة حرصه على عدم الوقوع في الشرك إذن فهو حريص على هذه الأمة في جميع أمر دينها ودنياها، وأعظم حرص منه حرصه على التوحيد.

(العنت) هو المشقة. (ما) مصدرية (عنتكم) أي مشقتكم.

أي يصعب عليه حصول المشقة على أمته وهذا من عظيم رحمته.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً). الحديـــث

(لا) ناهية. فيه إشارة إلى أن المقابر لا تصلح للعبادة.

قوله ((لا تجعلوا بيوتكم قبورا)) أي لا تجعلوها معطلة عن العبادة مثل المقابر، وهذا من باب سد الذرائع.

(عيداً) العيد هو اليوم الذي يعود ويتكرر.

((لا تجعلوا قبري عيداً)) أي لا عيداً زمانياً ولا مكانياً فتجتمعوا عنده فإني أنهاكم عن ذلك.

فائدة: زيارة قبر النبي بدون تخصيص وبدون شدِ رحلٍ لأجل ذلك جائزٌ بلا خلاف، والله أعلم.

فائدة: ما من بدعة ولا معصية إلا وفيها شبهٌ من اليهود أو النصارى.

٢٣-باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.

وقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) وقوله تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) وقوله تعالى: (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا).

عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: (فمن)؟ أخرجاه، ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضًا)، ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئة من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى).

الشـــــــــــــــــــرح

(بعض) تقيد ٌ جيد ٌ من المؤلف؛ لأن الطائفة المنصورة لا تزال إلى قيام الساعة على الحق والتوحيد كما تواترت بذلك الأحاديث.

الأمة التي بعث إليها النبي نوعان:



أمة الدعوة وهم الكفار الذين ماتوا على الكفر.

أمة الإجابة وهم المقصودون هنا لأنهم قد استجابوا ثم وقعوا في الشرك

وقول الله تعالى: {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب...} الآية

(الجبت) هو السحر وقيل الكفر، وقيل كل ما يعبد من دون الله، وهو اسم لما يستقبح.

(يؤمنون) بالشرك والكفر والإثم. والمقصود بهذه الآية هم اليهود.

وقوله تعالى: {قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله...} الآية

فيها أن الشر يسمى ثواباً والخير يسمى ثواباً ولكن الشر ثواب سيء.

والذين حصل لهم اللعنة والغضب هم اليهود ومنهم القردة والخنازير.

(عبد الطاغوت) أي عباد الطاغوت.

وقوله تعالى: {قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً}

(الذين غلبوا على أمرهم) قيل هم المؤمنون، وقيل الكفار من تلك الأمة.

وقيل كبراء القوم ورؤسائهم وهو الصحيح.

مسألة: ما الرد على من استدل بهذه الآية على جواز بناء المساجد على القبور؟

يقال لهم الآية وردت مورد الذم وكذلك الذين لهم غلبة من الأمراء ونحوهم هم الذين بنوا مسجداً لا أهل العلم والصلاح، ولو افترضنا تنزلا أنه من فعل أهل العلم والصلاح فلا حجة فيه، فلإن شرع من قبلنا لا يكون شرعا لنا إذا ورد شرعنا بخلافه.

وكذلك إذا كان هذا في شرعهم فإن شرعنا حرم ذلك كما دلت عليه عشرات الأدلة الصحيحة.

وعن أبي سعيد -رضي الله عنهما-أن رسول الله قال: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة...)) الحديــــث.

المراد به أنه يحصل التشبه باليهود والنصارى، وهذا عام في العبادات والمعاملات والعادات والأخلاق.

ومن ذلك الشرك في اتخاذ المساجد على القبور وكذلك هم عبدوها وبعض المسلمين عبدوها.

فحصل اتباعهم في البناء وصرف العبادة لغير الله.

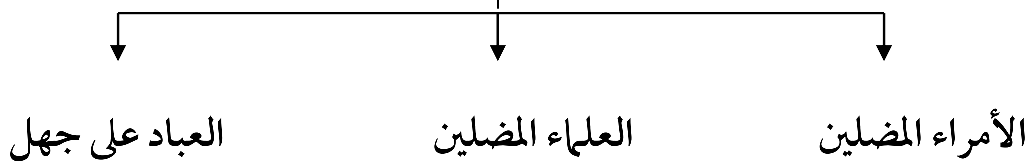
ولمسلم عن ثوبان أن رسول الله قال ((إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها...)) الحديــــث

(زوى لي الأرض) حيث جعل ينظر إليها كلها وكأنها صورةٌ مصغرةٌ إن صح التعبير.

(الكنزين) كنز كسرى وقيصر.

(سنةٌ عامة) هو القحط وهذا لا يحصل في المسلمين جميعاً، وقد يحصل بمكان دون مكان.

الأئمة المضلين أقسام:



(حتى يعبد فئام من أمتي الأوثان) هذا هو الشاهد، وقد حصل عبادة الأوثان في هذه الأمة من بعض الطوائف والأفراد تحت مسمى أضرحة الصالحين ومشاهدهم بل من الناس من صرف بعض العبادات لبعض الأحجار والأشجار وإلى الله المشتكى.

٢٤-باب: ما جاء في السحر.

وقول الله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ) وقوله: (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ).

قال عمر: (الجبت): السحر، (والطاغوت): الشيطان. وقال جابر: الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات).

وعن جندب مرفوعاً: (حد الساحر ضربه بالسيف) رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي (صحيح البخاري) عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر.

وصح عن حفصة رضي الله عنها: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت، وكذلك صح عن جندب. قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

الشـــــــــــــــــرح

علاقة هذا الباب بالتوحيد أن السحر من أنواع الشرك.

السحر لغةً: ما خفي ولطف سببه.

واصطلاحاً: هو رقى وعقد وعزائم ينفث فيها الساحر مستعيناً بالشياطين.

فائدة: الشياطين لا تعين الساحر وتخدمه حتى يكفر بالله الكفر الأكبر بل أعظمه.

السحر على قسمين:



ما كان عن طريق الشياطين
والاستعانة بهم وهذا كفر
عند جمهور العلماء.
ونقل فيه بعضهم الإجماع
وتأولوا ما جاء عن الشافعي
عليه رحمة الله

سحر التمويه والخدع
وهذا لا يستعان فيه بالشياطين
وإنما يستعمل فيه الذكاء سواءً بالأدوية والعقاقير
وغيرها من حركات الخفة وحكمه بحسبه
إن كان يوصل إلى الشرك فهو شرك وإن كان
يوصل إلى الكبائر فهو من الكبائر وهكذا.

وقول الله تعالى: {ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق...} الآية

قال عمر: الجبت السحر. والطاغوت: الشيطان.

تفسير الطاغوت بالشيطان هذا تعريف بالمثال، وهو من أنواع التعريفات فالشيء قد يعرف بحقيقة وحده وقد يعرف بضده وقد يعرف بالمثال.

وعن أبي هريرة أن رسول الله قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات...)) الحديث

(الموبقات) أي المهلكات.

قوله: (السبع) من بيان أعظمها وإلا فهي كثيرة وقد صح عند ابن جرير عن ابن عباس ﷺ أنه قال هي إلى السبعين أقرب، وقال هي إلى السبعمائة أقرب.

قوله: (والسحر) من باب عطف الخاص على العام لمزيد الاهتمام به في التحذير والجزم وإلا فهو من الشرك.

*قتل النفس يكون بالحق كالقصاص ويكون بغير حق كالظلم والعدوان

*النفس الذي حرم الله هي نفس المؤمن –والمعاهد – والمستأمن – والذمي.

*خص مال اليتيم لشدة حرمته لأنه ضعيف عن الدفاع عن ماله، ولأنه يحتاج إلى إعانة ورعاية.

*القذف: هو الرمي بالزنا والفاحشة.

*المحصنات: هن العفيفات سواءً كانت بكراً أو ثيباً.

*الغافلات: أي عن الفاحشة وعن أسبابها.

مسألة: هل يستتاب الساحر؟

من قال إن السحر ردة قال يستتاب، ومن قال السحر كفر وحده القتل قال: لا يستتاب وهذا هو الظاهر من عمل الصحابة فهم لم يأمروا باستتابة السَحَرة وهذا قول أحمد ومالك. وقد صح قتل السَحَرة عن عمر وابنه وابنته حفصة وجندب وغيرهم.

فائدة: السحر قد يقتل وقد يُمرِض ولا يكون ذلك إلا بإذن الله تعالى كما قال تعالى: {وما هم بضآرين به من أحدٍ إلا بإذن الله}.

٢٥-باب: بيان شيء من أنواع السحر.

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت).

قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض والجبت، قال: الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، المسند منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد) [رواه أبو داود] وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا هل أنبئكم ما الغضة؟ هي النميمة، القالة بين الناس) [رواه مسلم]. ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن من البيان لسحراً).

الشــــــــــــــــــرح

هذا من باب بيان السحر بالمعنى اللغوي، وكل ما كان فيه خفاء وهو منهي عنه عده بعضهم بأنه سحر.

وزجر الطير: معناه أنهم يخرجون بغلس قبل خروج الطير من أوكارها ثم يجعلونها تطير ويستدلون بها على شؤم اليوم أو سعادته.

والطيرة: (هي التشاؤم بالطير)، وهي أوسع من العيافة فإنها تشمل زجر الطير وغيرها مما يتشاءم منه. وكذلك سماع صوتها، وأما العيافة فخاصة بزجر الطير.

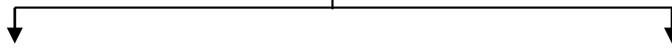
الطرق: ويقال له الضرب بالرمل ويقال له الخط ثم من خلال هذه الخطوط يخبر بها عن المستقبل وهذا من الكهانة.

ويدخل في ذلك ما يسمى بقراءة الكف وقراءة اللوح أو الفنجان ونحو ذلك من الأمور التي تتضمن ادعاء الغيب، وكلها لا تجوز وإن كان يعتقد أنه يعلم الغيب فهو كفر، وكذلك إذا كان يستعين بالشياطين فهو كفر.

وإن كان بغير هذه الأمور فلا يخلو من الشرك.

(الاقتباس) هو الأخذ (من اقتبس) أي تعلم (الشعبة) الفرع أو الجزء.

التنجيم على قسمين:



علم التأثير	علم التسيير
وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية	وهو الاستدلال بسير النجوم على الجهات والمواقيت ومواسم الزراعة
وهذا شرك أكبر	على أنها علامات

وعلم التسيير على قسمين:

إذا كان يعتقد أن النجوم تؤثر بنفسها فهذا شرك أكبر

وإن جعلها مجرد علامات فهذا جائز، لقوله تعالى:{وعلامات وبالنجم هم يهتدون} وقوله:{يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس}.

النفث نوعان:

جائـــز
إذا كان مع الرقية الشرعية

محـــرم
إذا كان مع الرقى غير الشرعية

* ومن النفث المحرم ما يكون شركاً أكبر وأصغر وبدعة ومعصية بحسب الكلام الذي يرقى به

فائدة: أخبث أنواع السحر المعقود هو الذي سُحر به النبي، وأمر الله بالاستعادة منه: {ومن شر النفاثات في العقد}.

فائدة: النميمة سحر من حيث المعنى وهي نقل الكلام بين الناس بغرض الافساد.

وقال يحيى بن أبي كثير يفسد النمام في ساعة ما لا يفسده الساحر في شهر/ أخرجه ابن حبان في روضة العقلاء بسندٍ جيد.

فائدة: النميمة شابهت السحر من حيث التفريق بين الناس.

(البيان) الكلام الفصيح. (لسحرا) يسحر القلوب بحسن بيانهِ ومنطقه.

مسألة: هل ورد هذا مورد الذم أو المدح؟

قيل ورد على سبيل المدح وقيل على سبيل الذم، والأحسن أن يقال هو بحسبه إن كان لإظهار الحق فهو على سبيل المدح، وإن كان لإظهار الباطل فهو على سبيل الذم.

فائدة: قال الصنعاني: في كتابه تطهير الاعتقاد: ((والأحوال الشيطانية لا تنحصر)).

٢٦-باب: ما جاء في الكهان ونحوهم.

روى مسلم في صحيحه، عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم" رواه أبو داود.

وللأربعة، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عن (أبي هريرة من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم". ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفاً.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً: "ليس منا من تَطير أو تُطير له أو تَكهن أو تُكهن له أو سَحر أو سُحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) رواه البراز بإسناد جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: "ومن أتى.." الخ.

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل: هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس -في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم-: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق.

الشـــــــــــــــرح

ذُكر هذا الباب بعد ذكر شيء من أنواع السحر والمناسبة أن الكهانة والعرافة تعتبر من أنواع السحر وتشترك مع السحر من جهة أن الغالب على الكهنة والعرافين يستعينون بالجن.

قوله (ونحوهم) يدخل المنجمون والعرافون وكذلك من يقرأ الكف والفنجال وغيرهم.

فائدة: الذين يدعون الغيب على قسمين:



الذين يستعينون بالشياطين	وهم الذين يتلاعبون بالناس
وهم الذين لهم علاقة بالسحر	من غير استعانة بالجن
وهذا هو المراد هنا.	وهذا أمره بين الشرك الأكبر والأصغر.

مسألة: ما الفرق بين الكاهن والعراف؟

الكاهن: من يخبر عن الأمور المستقبلية، والعراف من يخبر عن الأمور الماضية، وسمي عرافاً لأنه يدعي معرفة مكان الضائعات.

وعند المحققين من أهل العلم أن الكاهن يطلق على العراف والعكس.

تنبيه: من تاب من هذا العمل توبةً نصوحاً فلا يناله الوعيد على الصحيح لعموم الأدلة التي تدل على عدم المؤاخذة بعد التوبة.

الكاهن: وصف لكل من يدعي الغيب.

مسألة/ ما الجمع بين حديث لا تقبل له صلاة أربعين يوماً، ورواية فقد كفر بما أنزل على محمد؟

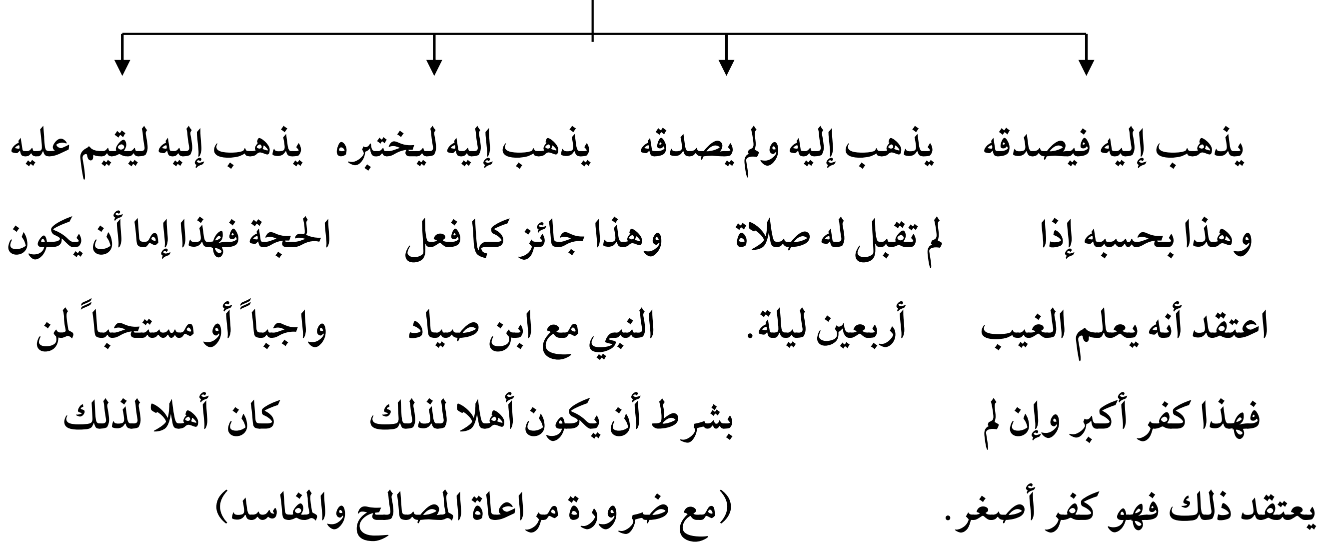
الجواب: قيل إنه كفرَ كفراً أصغر؛ لأنه صلاته لا تزال مقبولة، وبعض الروايات مفسرة لبعض .

نص على هذا ابن الجوزي وغيره.

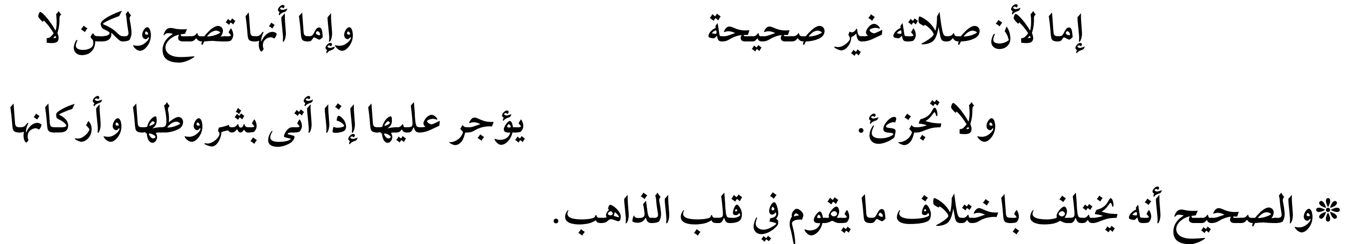
وقيل: إذا لم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، وإن صدقه فقد كفر بما أنزل على محمد

وهذا عند من سلك مسلك الجمع، والصحيح أنه بحسب الذاهب إن كان يعتقد أنه يعلم الغيب فهذا كفرٌ أكبر وما دونه أصغر.

أنواع الذهاب إلى العرافين والمنجمين:

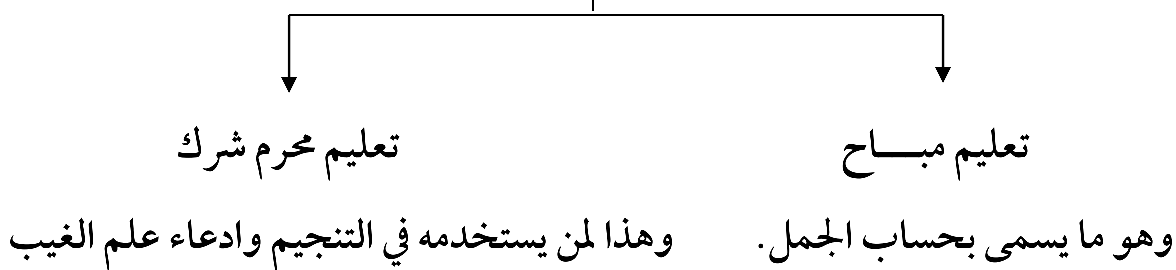


تفسير (لا تقبل له صلاة)



*والصحيح أنه يختلف باختلاف ما يقوم في قلب الذاهب.

تعليم (أبا جاد) ينقسم إلى قسمين:



.

٢٧-باب: ما جاء في النُشرة.

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة فقال: "هي من عمل الشيطان" رواه أحمد بسند جيد. وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله. وفي "البخاري" عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه. أ.هـ.

وروى عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.

قال ابن القيم: النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

إحداهما: ... حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، ويبطل عمله عن المسحور.

والثاني: ... النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

الشـــــــــــــــرح

النشرة لغةً: مأخوذة من النشر، وهو الفك يقال طيٌّ ونشر.

واصطلاحاً: فك السحر عن المسحور.

وعن جابر أن رسول الله سئل عن النشرة... الحديث

حديث جابر مختلف فيه فإن كان صحيحاً فالمعنى واضح، وإن كان ضعيفاً فالعمل عليه عند أهل العلم، والصواب أنه صحيح؛ لأن وهب بن منبه قد صح سماعه من جابر كما جاء مصرحاً به عند ابن خزيمة ونص على سماعه ابن معين والعراقي كما في تحفة التحصيل.

النشرة نوعان



فك السحر عن المسحور بالرقى والأدوية الشرعية وهذا مباح وقد يكون واجباً وقد يكون مستحباً.	فك السحر عن المسحور بالسحر وهذا يلزم منه الذهاب للسحرة وهذا محرم وهو المقصود في الحديث.

وفي صحيح البخاري عن قتادة قال: قلت لابن المسيب رجلٌ به طب... إلخ.

قوله (لا يأخذ عن امرأته) أي عند الجماع.

المراد بقول ابن المسيب أي بالرقية الشرعية، وإن كن يقصد حل السحر بالسحر فهذا اجتهاد منه، والظن به رحمه الله أنه لا يقصده لمعرفته بعموم الأدلة القاضية بتحريم الشرك وجميع وسائله والله أعلم.

٢٨-باب: ما جاء في التطير.

وقول الله تعالى: (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) .وقوله: (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر) أخرجاه. زاد مسلم: (ولا نوء، ولا غول).

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل) قالوا: وما الفأل؟ قال: (الكلمة الطيبة).

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: "الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل" رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: (من ردته الطيرة عن حاجة فقد أشرك) قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: (أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك).

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما: إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك.

الشـــــــــــــرح

الطيرة: مطلق التشاؤم وتكون بالأصوات والذوات والأمكنة والأزمنة، والتطير من الشرك.

الطيرة على قسمين:



فائدة: الطيرة أصلها عقيدة الكفار والمشركين فأبطلها الإسلام.

(لا عدوى) أي لا تنتقل العدوى؛ أي الأمراض المعدية بذاتها وإنما بإذن الله تعالى.

فائدة: الأحاديث التي فيها نفي العدوى؛ أي على ما كان عليه أهل الجاهلية من أن العدوى تؤثر بذاتها، والأحاديث التي فيها إثبات العدوى؛ أي أنها تنتقل بإذن الله تعالى وهذا الجمع أحسن ما قيل في الجمع بين الأحاديث الواردة في هذا الباب والله أعلم.

(ولا هامة) قيل إن معنى هامة اسم الطير يقال له هامة وهي البومة.

وهذا بعيد، وقيل إن الرجل إذا مات مظلوماً تظهر صورته على شكل شبح على من قتله وأصل هذه العقيدة من النصارى ثم انتقلت إلى المشركين فأبطل الإسلام ذلك.

(ولا صفر) قيل هو مرض يكون في البطن، وقيل شهر صفر وهو الصحيح وذلك أن المشركين كانوا يتشاءمون بشهر صفر، وكانوا لا يتاجرون فيه ولا يتزوجون فيه،

وهذا لا زال إلى الآن عند بعض الناس.

(ولا نوء) هو النجم (وسيأتي ذكره).

(لا غول): جمعه غيلان وهو نوع من أنواع الجن كان بعضهم يعتقد أنها تتراءى لهم في الطريق، وحديث (إذا تغولت الغيلان فعليكم بالآذان) لا يصح.

أحوال المتطيرين:

- من لا يتطيرون أبداً وهم الكمل في هذا الباب
- من تقع الطيرة في قلبه على سبيل الوسوسة والخطرات فيدفعها بالتوكل فلا شيء عليه.
- من تقع الطيرة في قلبه ولا ترده عن عمله لكن يبقى أثرها وتخوفه منها وتوقعه للشر وهذا لا يسلم من الوقوع في الشرك الأصغر.
- من ترده الطيرة عن عمله وهذا شرك .

الفأل: هو توقع الخير، وهو عكس الطيرة.

((وما منا إلا...)) أي يتطير، هذا من كلام ابن مسعود ؛ لأن الأنبياء معصومون من الشرك كبيره وصغيره وقد نص أئمة الحديث على أنها مدرجة.

فائدة: الطيرة إن كانت في القلب ثم تدفع بالتوكل فهذا لا يُذم صاحبه.

٢٩-باب: ما جاء في التنجيم

قال البخاري في "صحيحه": قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. أ.هـ.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

الشـــــــــــــــــرح

أقسام التنجيم تقدم في باب شيء من أنواع السحر.

وتعلم منازل القمر فيه خلاف والظاهر أنه يجوز ومن كرهه أراد به كراهة تنزيه

لقوله تعالى: {هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب}. وله ٢٨ منزلة.

وعلم التسيير عبارة عن علامات وليس أسباب؛ لأنها قد تحصل وقد لا تحصل، وأما السبب فيحصل به المراد غالباً، وإذا قيل إنها سبب فقد أذن بها الشرع والله أعلم.

٣٠-باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

وقول الله تعالى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ).

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أربعة في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة) وقال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب).

رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب). ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) (٧٦) إلى قوله: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) (٧٧).

الشـــــــــــــــــرح

الاستسقاء: هو طلب السقي (نزول المطر).

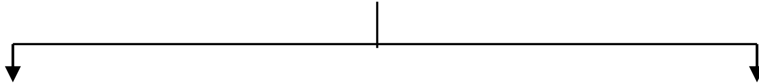
(الأنواء) جمع نوء وهو النجم وقيل منازل القمر والمراد هنا النجوم.

وقول الله تعالى: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون}.

(رزقكم) أي المطر الذي رزقكم الله.

(أنكم تكذبون) أي تنسبون المطر لغير الله فهذا تكذيب بالنعمة.

الرزق نوعان:



حســـي: من مالٍ ومطرٍ و أكلٍ وغيره.

معنـــوي: وهو رزق القلوب بالإيمان.

فائدة: المطر إذا جاء في القرآن فالمراد به أنه عذاب إلا في موضع واحد وهو في قوله تعالى: {ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر...} فالمراد به الغيث الذي هو رحمة.

وعن أبي مالك الأشعري أن رسول الله قال ((أربع من في أمتي من أمور الجاهلية...)) الحديث.

قوله (أربع) هذا لا يفيد الحصر بل هناك غيرها وإنما نص على هذه لكثرة من يقع فيها.

الاستسقاء بالنجوم ثلاثة أنواع:

- أن يدعوها مباشرة وهذا شـــرك في الربوبية حيث جعل للنجم قدرة على التدبير وهذا كفر بالإجماع.
- أن يعتقد أنها مؤثرة بذاتها وهو لا يدعوها وهذا شرك في الربوبية وهو كفر.
- أن يعتقد أنها سبب فهذا شرك أصغر. ومن جعلها علامة للمواسم فهو على قسمين:
  - أن يجعلها علامات ويضيف النعمة إليها فهذا كفرٌ أصغر.
  - أن يجعلها علامات ويضيف النعمة إلى الله وهذا جائز والله أعلم.

٣١-باب: قول الله تعالى {ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين ءامنوا أشد حباً لله} الآية

وقوله: (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ). إلى قول تعالى: (أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِّ وَرَسُولِهِ) الآية.

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) أخرجاه.

ولهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله رسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)، وفي رواية: (لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى ..) إلى آخره.

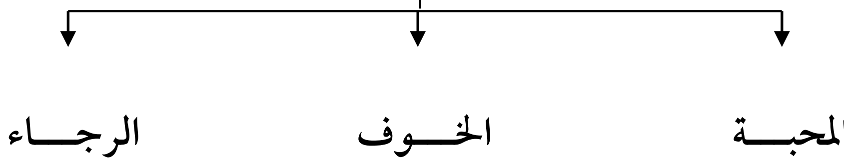
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك.

وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا. رواه بن جرير، وقال ابن عباس في قوله تعالى: (وتقطعت بهم الأسباب) قال: المودة.

الشـــــــــــــــــرح

أراد من هذا الباب أن محبة الله من توحيده، وأن من الناس من يشرك في المحبة بل أساس الشرك هو شرك المحبة. وتقدم تفسير الآية في باب تفسير التوحيد.

أركان العبادة ثلاثة:



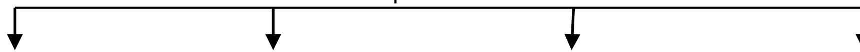
المحبـــة — وهي أعظم ركن؛ لأنها مقصودةٌ لذاتها في الدنيا والآخرة.

الخـــوف

الرجـــاء

وقد مثل بعضهم العبادة بالطائر فالمحبة الرأس والخوف والرجاء الجناحان.

أقسام المحبة:



- محبة تعظيم وذل وخضوع وهذه لا تكون إلا لله وهي واجبة.
- محبة إجلال واحترام كمحبة الوالدين ومن كان أكبر منك ممن له فضل عليك.
- محبة إشفاق ورحمة كمحبة الأولاد والزوجة
- محبة طبيعية كمحبة المآكل و المشارب واللباس والمركب.

والثلاثة الأخرى أصلها مباح لذاتها وقد تكون مستحبة وقد تكون واجبة كمحبة الوالدين.

ومن محبة الله أن تحب ما أحب الله ومن يحب الله.

فائدة: من أحب غير الله كحب الله أو أشد حتى وقع في الشرك فهو شرك، وإن وقع في الكبائر فهو من الكبائر وهكذا.

فائدة: محبة النبي من محبة الله تعالى فهي محبة واجبة.

فائدة: قسم ابن القيم رحمه الله المحبة في كتابه (روضة المحبين) إلى ثلاثة أقسام هي: محبة الله ومحبة لله ومحبة مع الله، وزاد في كتابه (الجواب الكافي) قسماً رابعاً وهو: محبة ما يحب الله، والمنهي عنها المحبة مع الله، وما سواها واجبة.

٣٢-باب قول الله تعالى: {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين}.

وقوله: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ) الآية.وقوله: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) الآية.

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: (إن من ضعف اليقين: أن ترضى الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على مالم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره).

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس) رواه ابن حبان في صحيحه.

الشـــــــــــــــــرح

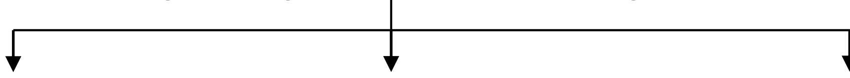
الخوف هو الركن الثاني من أركان العبادة.

(يخوف أولياءه) لها تفسيران:

- أي من اتبع الشيطان صار يخاف من الشيطان لأنه من أوليائه
- منصوب بنزع الخافض أي بأوليائه فصار يخوف المؤمنين الذين عندهم ضعف في الإيمان يخوفهم بأوليائه

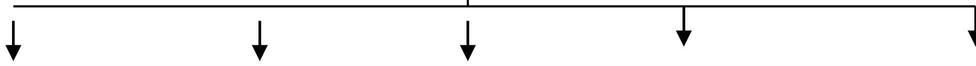
والمعنى يشمل الكل فأولياء الشيطان يخافون منه وهو يستعملهم في تخويف بعض المؤمنين.

الخوف من الله عبادة ودلالة ذلك من الآية من ثلاثة أوجه:



أن الله أمـــر به لقوله:{وخافونِ}	أن الله نهى أن يصرفه لغيره لقوله: { فلا تخافوهم }.	أن الله جعله من علامات الإيمـــان لقوله تعالى: {إن كنتم مؤمنين }.

أقسام الخـــوف:



خوف واجـب	خوف مستحب	خوف شـــرك	خوف طبيعي	خوف بدعـــة
يكون من الله بفعل الأوامر وترك النواهي.	ويكون بفعـــل المستحبات وترك المنكـــرات.	كالخوف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.	كالخوف من الأشرار والسباع وهذا جائز ولا يمدح صاحبه	وهذا ا لخوف إذا زاد حتى ييأس من رحمة الله تعالى.

وقول الله تعالى: {إنما يعمر مساجد الله من ءامن بالله...}.

فائدة: الخوف الطبيعي ينافي كمال التوحيد المستحب .

حيث صح عن رسول الله ﷺ كما في الصحيح وغيره أنه كان يتعوذ بالله من الجبن، وهو الخوف.

وقول الله تعالى: {ومن الناس من يقول ءامنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله...}.

الفتنة هنا: هي الأذية والبلاء.

الشـــاهد: {فإذا أوذي في الله} جعل خوفه من فتنة الناس كالخوف من عذاب الله.

ويكون الخوف من غير الله بحسب ما يقع من الشخص بسببه سواءً كان شركاً أو معصية.

وعن أبي سعيد الخدري مرفوعاً ((إن من ضعف اليقين...)) الحديث

معناه جميل لكنه لا يصح فيه كذاب وضعيف.

وعن عائشة -رضي الله عنها – أن النبي قال: ((من التمس رضا الله بسخط الناس...)) الحديث.

روي مرفوعاً وموقوفاً والراجح وقفه على عائشة – رضي الله عنها -وله حكم الرفع.

وهناك أدلة تدل على ذلك لحديث جبريل في الصحيحين ((أني أحب فلانا فأحبوه...)) الحديث.

وليس معناه السعي في إسخاط الناس، فإذا أرضى الله والناس فهذا أحسن وجميل لما فيه من الصيانة والديانة، فإن تعارضا قدم رضى الله على من سواه ، الله أعلم.

٣٣-باب: ما جاء في قول الله تعالى: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين}.

وقوله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) الآية وقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) وقوله (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِّ فَهُوَ حَسْبُهُ).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل). قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) رواه البخاري والنسائي.

الشـــــــــــــرح

علاقة التوكل بالتوحيد علاقة وطيدة وعلى قدر التوكل في قلب العبد يقوى إيمانه، ومتى ضعف التوكل ضعف الإيمان.

فائدة: التوكل عمل قلبي محض وينفرد عن أعمال القلب بأنه لا يكون إلا لله فلا يجوز صرفه لغير الله في أي حال من الأحوال.

تنبيه: لا يقال توكلت على الله وعليك أو ثم عليك؛ لأن التوكل لا يكون إلا على الله.

التوكل لغةً: هو الاعتماد.

واصطلاحاً: هو صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب المأذون بها شرعاً.

فائدة: التوكل على الأسباب شرك وتركها خلل في التوحيد.

فائدة: ليس في التوكل أقسام؛ لأنه لا يصلح إلا على الله.

الدليل على أن التوكل عباده من الآية من وجوه:

الأمـــر بـــه	علق التوكل بالإيمان	تقديم الجار و المجرور
{فتوكلوا}	{ إن كنتم مؤمنين }	على الفعل { توكلوا } يفيد الحصر
		أي: حصر هذه العبادة على الله وحده

٣٤-باب: ما جاء في قول الله تعالى: {أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون}.

وقوله: (قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ).

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر، فقال: (الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله) رواه عبد الرزاق.

الشـــــــــــــــــرح

هذا الباب فيه بيان خطورة الأمن من مكر الله، ولعل المؤلف أراد الإشارة إلى باب الرجاء.

والرجاء معناه: الطمع والرغبة فيما عند الله من الرحمة والفضل، وهو عبادة من العبادات العظيمة بل هو أحد أركان العبادة. وإذا زاد الرجاء حتى أمن من مكر الله وعذاب الله فهذا بدعة وكبيرة من الكبائر للآية في الباب.

قال بعض السلف:

من عبد الله بالمحبة فقط فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو خارجي، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالمحبة والخوف والرجاء فهو مؤمنٌ موحد.

فائدة: المحبة تستلزم الخوف والرجاء.

فائدة: الفرق بين اليأس والقنوط:

القنوط أعم من اليأس فالقنوط يكون في الشدة والرخاء، وأما اليأس فلا يكون إلا في الشدة على القول بالفرق، وقيل هما بمعنى واحد.

مسألة: أيهما يُغَلَّب الخوف أو الرجاء؟ قال بعض أهل العلم وهو قول الإمام أحمد وجماعة: لا بد أن يكونا سواء. و قال بعضهم: في حالة الصحة يغلب جانب الخوف، وفي حالة المرض يغلب حالة الرجاء. وقال وبعضهم ورجحه ابن القيم: كل امرئ طبيب نفسه؛ وكلٌّ يعرف نفسه ماذا يصلح معها، وهذا كلام جميل وهو يجمع الأقوال الأولـــى.

٣٥-باب: من الإيمان الصبر على أقدار الله.

وقول الله تعالى: (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ).

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت).

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: (ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية).

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضي، ومن سخط فله السخط) حسنه الترمذي.

الشـــــــــــــــــرح

من تبعيضيه؛ لأن شعب الإيمان بضعٌ وسبعونَ شعبة والصبر واحدةٌ منها.

والصبر لغةً: الحبس، يقال قُتِلَ صبراً أي مقيداً (مجبورا).

واصطلاحاً: هو حبس النفس على طاعة الله وحبسها عن معصية الله، وحبسها على عدم السخط على أقدار الله، وهذه الثلاثة الأمور هي أقسام الصبر.

تنبيه: يقال صبر عن معصية الله ولا يقال على معصية الله؛ لأن (عن) تفيد التجاوز والبعد وعلى تفيد اللزوم.

قول المؤلف: (من الإيمان) أي الإيمان الواجب.

الصبر على أقدار الله واجبٌ من واجبات الإيمان ولا يتم الإيمان إلا بذلك؛ لأن الصبر جزءٌ لا يتجزأ من الإيمان بالقضاء والقدر، والصبر على أقدار الله واجب ولا يقال منه الواجب ومنه المستحب بل هو كله واحب.

حالات بعض من ابتلي ببعض أقدار الله المؤلمة:



وقول الله تعالى: {ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله} الآية.

قوله {يهدِ قلبه} أي من يصبر يوفقه الله للهداية.

{والله بكل شيء عليم} أي يعلم من صبر من أجل الله أو من أجل غيره.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله قال:

((اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النساب والنياحة على الميت...)) الحديث.

والشاهـــد منه قوله: (والنياحة...)؛ لأن النياحة تنافي الصبر.

(كفر) المراد به هنا الكفر الأصغر وهو من الكبائر، ولا يخرج من الملة بالإجماع.

فائدة: قال شيخ الإسلام:

إذا جاء (الكفر) بلفظ المعرفة (الكفر) يراد به الكفر الأكبر، وإذا جاء بلفظ النكرة (كفر) المراد به الكفر الأصغر، وهي قاعدة أغلبية.

فائدة: (النياحة على الميت) تنافي الصبر لكن البكاء اليسير لا بأس به فلا ينافي الصبر بل هو مستحب؛ لأن به تحصل عبودية الرحمة.

فائدة: من الخطأ إظهار الفرح والسرور عند المصائب؛ لأن ذلك مخالف لهدي رسول الله.

فائدة: عند المصائب تجتمع عبادتان: الصبـــر و الرحمـــة، فالصبر بعدم التسخط والنياحة، والرحمة بدمع العين وحزن القلب.

ولهما عن ابن مسعود (مرفوعاً): ((ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)).

(ضرب الخدود) هو لطم الوجه.

(دعوى الجاهلية) من النياحة المحرمة. (شق الجيوب) أي: قطعها الثياب مما يلي الصدر.

وعن أنس قال: قال رسول الله: ((إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة...)) الحديث المصيبة من الله فمن صبر عليها يؤجر عليها، والعافية من الله فمن شكرها يؤجر عليها.

فائدة: كلما كان الابتلاء أعظم كان الأجر أعظم.

قال علي رضي الله عنه: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد).

٣٦-باب: ما جاء في الرياء.

وقول الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) الآية.

عن أبي هريرة مرفوعاً: (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه). رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعاً: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟) قالوا: بلى يا رسول الله! قال: (الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته، لما يرى من نظر رجل). رواه أحمد.

الشـــــــــــــــــرح

وقول الله تعالى: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد...} الآية.

قل: أي يا محمد (يرجو) يطمع (لقاء ربه) أحسن تفسير لها أي رؤية الله.

الشاهـــــد: {فليعمل عملاً ً صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا} ولا يكون صالحاً إلا إذا كان خالصاً لله، والرياء ينافي الإخلاص.

{أحدا} يشمل كل مخلوق، فمن عمل عملاً ً من أجل الناس فقد أشرك بعبادة ربه.

وعن أبي هريرة مرفوعاً ((قال الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك...)) الحديث

هذا الحديث يتناول الشرك الأكبر والأصغر.

وعند الإمام أحمد زيادة: ((وأنا بريء منه)) وهو للذي أشرك وهي زيادة صحيحة.

وقوله: ((أنا أغنى الشركاء)) هذه صفة كاشفة ووصف لازم محله لا يدل على التفضيل وليس له مفهوم بمعنى لا يوجد لله شريك أصلاً.

فائدة: أقسام المرائي:

١-أن يرائي من أول العمل فهذا العمل باطل.

٢-أن يبدأ العمل لله ويعرض له الرياء أثناء العمل وهو قسمان:

أ-أن يدافعه ويستحضر الإخلاص فهذا لا يضر باتفاق بل يمدح على مجاهدته للرياء.

ب-أن يسترسل مع الرياء، وهذا على قسمين:

١-إذا كانت العبادة متصل أولها بآخرها كالصلاة فتبطل

٢-إذا كانت العبادة مجزأة كالصدقة ومناسك الحج فهذا النوع ما دخله الرياء فسد وما لا فلا يفسد، والله أعلم على خلاف فيما يتعلق بالحج.

وعن أبي سعيد مرفوعاً: ((ألا أخبركم بما هو أخوف عندي من المسيح...)) الحديث.

الحديث بهذا الإسناد فيه ضعف، وجاء عن محمود بن لبيد وهو يغني عن هذا فقد أخبر النبي أنه يخاف على أمته من شرك السرائر.

س/ لماذا كان الرياء أخوف من المسيح الدجال؟

قالوا لأن الرياء أمره خفي والمسيح أمره واضح لكل مؤمن؛ ولأن الرياء مما تعم البلوى به فقل أن يسلم منه أحد.

فائدة: الرياء يكون في العبادات المرئية، وحب السمعة يكون في الأعمال السمعية وكلها رياء وهي شرك أصغر.

٣٧-باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

وقول الله تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) الآيتين.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع).

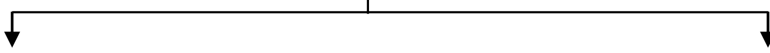
الشـــــــــــــــــرح

كل شيء يخرج العمل عن كونه لله فالعمل باطل ويكون شركاً أصغر.

مســـــألة: ما الفرق بين الرياء والعمل من أجل الدنيا؟

العمل لأجل الدنيا أعظم خطرا من الرياء؛ لأنه يشمل ما يشمله الرياء وزيادة فهو يطلب بعمله ثناء الناس ودنياهم، والرياء حالة عارضة ، ويبتلى العبد به في حالة دون حالة، والعمل من أجل الدنيا يغلب عليه حتى أنه ما يعمل إلا لأجل الدنيا.

العبادة على قسمين:



عبادة أخروية محضة رغب الله فيها بالآخرة كالصلاة والصيام و هذه الأعمال لم يعلق الله عليها منافع دنيوية فمن عمل هذه الأعمال من أجل الدنيا فهي فاسدة مع الإثم

عبادات رغب الله فيها بالآخرة وذكر فيها منافع دنيوية وأخروية مثل الصدقة، وصلة الرحم فمن عملها من أجل هذا وهذا فهي جائزة وإن فعلها من أجل الدنيا فقط فهذا رياء، فإن قصد بها المنافع الدنيوية ونيته لله جاز لكنها نقص في مرتبته

وقوله تعالى: {من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم...} الآية.

أي يعطيهم على قدر نياتهم من كان يريد الثواب في الدنيا فله ذلك.

وقيل إنها منسوخة بقوله تعالى: {من كان يريد العاجلة...} الآية.

وهذا ليس من مسائل النسخ؛ لأن النسخ يكون في الأحكام لا في الأخبار، والآية من باب الأخبار، ولكن يقال إنها عامة وآية الإسراء مخصصة لها، والله أعلم.

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: ((تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم...)) الحديث.

سمى النبي من عمل لأجل الدنيا عبداً لها فهو واقعٌ في الشرك، وعبودية الإنسان لدنياه تختلف من إنسان إلى آخر قد توصله إلى الكفر أو إلى الشرك أو إلى البدع وقد تكون إلى معصية بحسبها، إما كبيرة وإما صغيرة.

فائدة: الضابط لمعرفة عبد الدينار وعبد الدرهم...:

أنه إذا أُعطي رضي وإذا لم يُعطى سخط فحبه وبغضه وولاؤه وبرؤاه من أجل الدنيا لا من أجل الله.

الخميصة والخميلة نوع من أنواع القماش.

(إذا شيك فلا انتقش) هذا من باب المبالغة في الدعاء عليه لقبيح فعله وعظيم معصيته.

٣٨-باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله.

وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (٩٥) أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ) (٩٦) الآية. فقلت له: إنا لسنا نعبدهم قال: (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلّون ما حرم الله، فتحلونه؟) فقلت: بلى. قال فتلك: عبادتهم) رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

الشـــــــــــــــــــرح

العلماء والأمراء هم ولاة الأمر الذين لهم الطاعة تبعٌ لطاعة الله ورسوله لقوله تعالى:

{يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...} لأن طاعة الله تجب استقلالاً وكذلك طاعة الرسول أما طاعة الأمراء فتكون تبعاً لطاعة الله ورسوله، ولا تجوز طاعتهم فيما فيه مخالفة لله ورسوله .

وقال تعالى: {فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}.

ومما يروى عن الإمام أحمد رحمه الله قوله : سل العالم عن دليله لا عن رأيه لقوله تعالى:

{فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر}

لأن العالم ربما ضل فيضل من معه لأنهم اتبعوه بلا دليل، فيميل بهم كل مرة في فتنة لا يعلمون إلا ما يقوله لهم، ولو سألوه عن دليله لم استطاع أن يلبس عليهم.

قال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء....

هذا من حفظ الإمام محمد بن عبد الوهاب وهو بهذا اللفظ لا يثبت، ولكنه ثبت بلفظ مقارب أخرجه ابن عبد البر في الجامع(٢٣٧٨) بلفظ: أراهم سيهلكون أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقولون قال أبو بكر وعمر.

٣٩- باب قول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا)

وقوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) وقوله: (وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا) الآية. وقوله: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) الآية.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب "الحجة" بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة؛ فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ـ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ـ وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود ـ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة – فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ) الآية.

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

الشـــــــــــــــــرح

عقد المؤلف هذا الباب في بيان وجوب التحاكم إلى شرع الله.

وطاعة الأمراء والعلماء في تحريم الحلال وتحليل الحرام قد يؤدي إلى التحاكم إلى أقوالهم وأفعالهم، وترك التحاكم إلى الكتاب والسنة، وهذا شركٌ في التشريع.

{ألم تر} أي يا محمد.

{إلى الذين يزعمون} إلى هؤلاء الذين يكذبون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك.

والمراد بهم المنافقون.

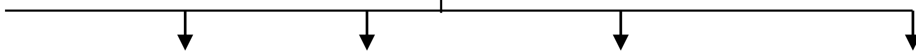
{ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدا} مبتعدين ابتعاداً كثيراً ليس فيه رجعة.

فائدة: الخوارج يعتقدون التكفير بالمعصية حيث جعلوا كل من لم يحكم بما أنزل الله كافراً، والصواب التفصيل.

مسألة: ما حكم من حكم بغير ما أنزل الله؟

الجواب: قد نوع الله الحكم عليه في كتابه وهذا دليلٌ على أن المسألة فيها تفصيل فالحكم بغير ما أنزل الله إما أن يكون كفراً وإما فسقاً وإما ظلماً.

حالات من حكم بغير ما أنزل الله:



- أن ينكر ما أنزل الله وهذا كفرٌ؛ لأنه سيؤدي إلى إنكار القرآن والسنة.
- أن يستحل الحكم بغير ما أنزل الله وهذا كفرٌ أيضاً.
- أن يفضل حكم غير الله على حكم الله وهذا كفر.
- أن يعتقد أن حكم الله لا يصلح لهذا الزمان.
- أن يعتقد أن حكمه وحكم الله سواء وهذا كفر.

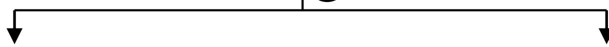
*(وما سوى هذه الحالات فصاحبه دائرٌ بين الظلم والفسق)

فائدة: من حكم بغير ما أنزل الله وهو يعلم أن حكم الله هو الأكمل والأفضل وإنما قاله تبعاً لهواه أولمصلحةٍ ونحوها فهذا فسقٌ أو ظلمٌ لا يخرج به من الإسلام.

فائدة: من لم يكفر الكافر فهو كافر وهذه قاعدة صحيحة، والمراد بها الكافر المتفق على كفره كاليهود والنصارى ونحوهم، وأما الكافر المختلف في كفره فلا يدخل في هذه القاعدة.

وقوله تعالى: {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها...} الآية.

أنواع الإفساد:



- إفساد للأبدان مثل القتل والضرب لأهل الإسلام
- إفساد للأديان كالحكم بغير ما أنزل الله والقول على الله بغير علم

وقوله تعالى: {أفحكم الجاهلية يبغون...} الآية.

الاستفهام إنكاري.

عن ابن عمرو -رضي الله عنهما - أن رسول الله قال:

((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)) إلخ.

هذا لا يصح عن النبي ومعناه صحيح ، وقد ذكر ابن رجب في جامع العلوم له ثلاث علل.

*علاقة هذا الباب بالباب السابق:

١-الأول خاص.	١-هذا عــــام.
٢-في تحليل الحرام وتحريم الحلال.	٢-كل من تحاكم إلى غير شرع الله
٣-في العلماء والأمراء خاصة.	من علماء وأمراء ومن كان دونهم.

٣-في العلماء والأمراء ومن دونهم

وتقديم قولهم على قول الله ورسوله.

وعلاقتها بالتوحيد أن المتحاكم إلى غير شرع الله يقع في شرك التشريع، والتشريع متعلق بتوحيد الربوبية والله تعالى يقول منكراً على أهل الشرك:

{أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله}.

٤٠-باب: من جحد شيئاً من الأسماء والصفات.

وقول الله تعالى: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) الآية.

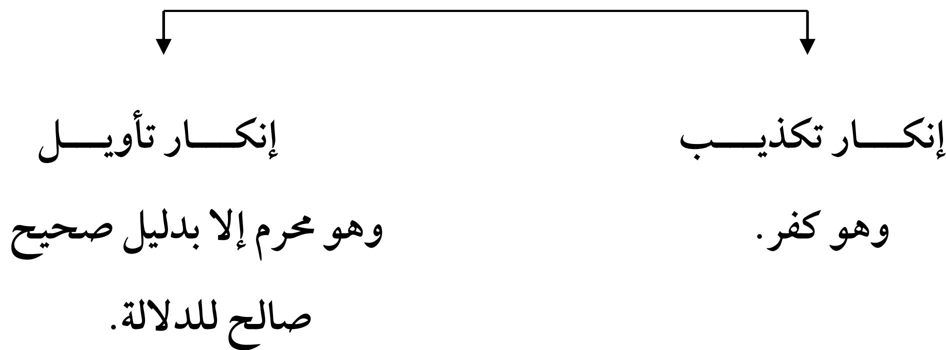
وفي صحيح البخاري قال علي: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟).

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: أنه رأى رجلاً انتفض ـ لما سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات، استنكاراً لذلك ـ فقال: (ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه) انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر: (الرحمن) أنكروا ذلك. فأنزل الله فيهم: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ).

الشـــــــــــــــرح

الجحود: هو الإنكار.



*من كذّبَ بشيء من كلام الله كفر بالإجماع، ومن كذب بشيء من السنة المتفق على صحتها بغير شبهة كفر. وإنكار التأويل لا يكفر صاحبه إن كان بسبب شبهة، لأن التأويل من موانع التكفير.

فائدة: كل اسم من أسماء الله يتضمن صفة لله، وأسماء الله مشتقة؛ أي متضمنة لصفات كاملة مثلاً اسم الرحيم يتضمن صفة الرحمة، والكريم يتضمن صفة الكرم وهكذا.

توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله، وإفراد الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير زيادة ولا نقصان.

فائدة: الزيادة والنقصان في أسماء الله إلحاد في أسمائه وهو المراد بقوله تعالى:

{وذروا الذين يلحدون في أسمائه...} الآية

وقول الله: {وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي...} الآية.

دلت هذه الآية أن كفار قريش ينكرون اسم الرحمن وهذا من الإلحاد في أسمائه.

فائدة: من جحد شيئاً من أسماء الله أو صفاته ففيه صفة من صفات المشركين.

فائدة: قال علي بن أبي طالب: (حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يُكذب الله ورسوله) رواه البخاري. وهذا شامل لكل شيء من أمور الدين والله أعلم.

وذكره المؤلف لأن من جملة ما تحدث به هذا يعني من أسماء الله وصفاته فهي لا يفهمها كل إنسان، فربما حدثت إنساناً بشيء أكبر من عقله فيزل وينحرف وتدخله الشكوك.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس... إلخ.

هذا الأثر صحيح عن ابن عباس. وأسماء الله محكمة والمحكم هو الواضح.

والمتشابه ما اشتبه على بعض الناس فهو تشابه نسبي؛ أي بالنسبة لبعض الناس دون بعض فلا يوجد شيء في القرآن ولا السنة لا يعلمه أحد لكن يعلمه أناس ويجهله آخرون؛ لأن الله أمر بتدبر القرآن ولا يمكن تدبره إلا إذا كان له معانٍ مفهومة والله أعلم.

٤١-باب: قول الله تعالى: (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ).

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي.وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا. وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس – بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: (إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر..) الحديث، وقد تقدم ـ وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

الشـــــــــــــــــرح

{ينكرونها} أي بإضافتها إلى غير الله.

إضافة النعم إلى غير الله على أقسام:

كفـــر أكبر وذلك إذا أضافها لغير الله استقلالاً من دون الله أو مشاركة لله أو معاونة لله.	أن يضيفها إلى غير الله تسبباً فهذا جائز بشرط أن يضيفها إلى الله أولاً ثم إلى السبب.	من باب الخبر المحض فهذا جائز كمن يقول أعطاني فلان كذا مع أن المعطي في الحقيقة هو الله.

لو: فيها شرط لا يصلح فيها الخبر؛ لأنه لا يقال له خبر محض؛ لأنها من أنواع الطلب فلا يقال : (لو) إلا في باب الخبر فلا يجوز إضافة النعمة مقترنة بـ (لو) إلى غير الله ابتداءً وإنما يقال: لو لا الله ثم كذا وكذا.

٤٢-باب: قول الله تعالى: {فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون}.

قال ابن عباس في الآية: الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك) رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً.

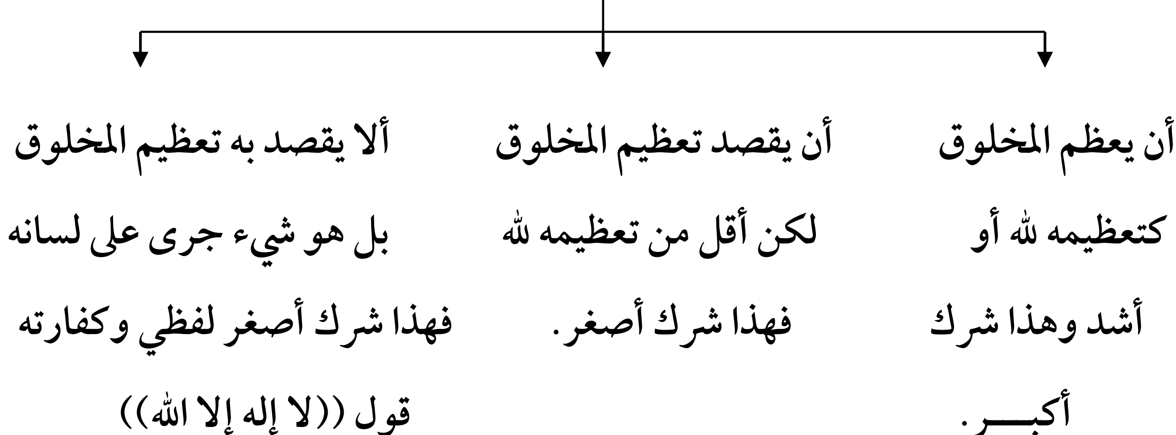
وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان) رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

الشـــــــــــــــرح

هذا الباب متقارب مع الذي قبله إلا أن الأول فيه إسناد النعمة لغير الله، وهذا أعم منه.

وقوله تعالى: {لا تجعلوا لله أنداداً} في كل شيء من أنواع التوحيد الثلاثة



و أثر ابن عباس فيه كلام ومعناه صحيح وهو بحسبه أصغر أو أكبر.

* أثر ابن عباس مختلف فيه والأقرب صحته، وقد صح بمعناه عن ابن عمر.

٤٣-باب: ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله)، رواه ابن ماجه بسند حسن.

الشـــــــــــــــرح

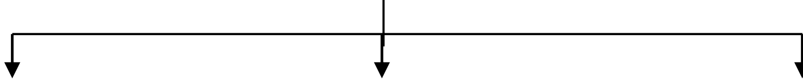
الحلف بالله على قسمين:



أن يكون صادقاً
وهذا يجب تصديقه.

أن يكون كاذباً
من العلماء من قال يجب تصديقه لأنه قد حلف بالله.

وبعض أهل العلم فصل على ما يلي:



أن يعلم يقيناً أنه كاذب
فلا يجب تصديقه ولا يجب الرضى بيمينه لأن الله لا يعظم بالكذب

أن يغلب الظن أنه كاذب
فلا يجب تصديقه على الصحيح.

أن يتشـــكك
فوجب التصديق لتساوي الأمران.

٤٤-باب: ما جاء في قول: ما شاء الله و شئت.

عن قُتيلة، أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: (ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء ثم شئت) رواه النسائي وصححه.

وله أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، فقال: (أ جعلتني لله نداً؟ ما شاء الله وحده).

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته. قال: (هل أخبرت بها أحداً؟) قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد؛ فإن طفيلاً رأى رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده).

الشـــــــــــــــــرح

هذا الكلمة يتعلق بها حكمان:

إذا اعتقد أن غير الله يشارك الله في المشيئة فهو شـــــرك أكبـــــر.	وإذا اعتقد أن مشيئتة غير الله تابعة لمشيئة الله فهو شرك أصغـــــر لفظي يترتب عليه إثم على الصحيح.

فائدة: كون النبي قَبِلَ من اليهود هذا يدل على أن الشخص يقبل الحق ممن جاء به.

وفيه أن هذا شرك ولم ينه عنه النبي؛ لأنه قد يقع في نفسه لكن لم يذكره حتى يوحى إليه.

خلاصة ذلك: أن المشيئة تابعة لله وحده فمشيئة خلقه تابعة لمشيئته وهو رد على الجبرية الذين يقولون إن العبد مجبور على العمل وليس له مشيئة ولا إرادة بل هو كورقة في شجرة يحركها الريح يمنةً ويسرة. وقد كذبهم الله تعالى بقوله: {وما تشاؤن إلا أن يشاء الله}.

٤٥-باب ما جاء في سب الدهر.

فقد آذى الله وقول الله تعالى: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) الآية.

في الصحيح عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار) وفي رواية: (لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر).

الشـــــــــــــرح

سب الدهر على أقسام:

1. إذا سب الدهر على أنه هو الله فهذا كفر.
2. أن يسب الدهر على أنه من مخلوقات الله ولكن يعتقد أنه يؤثر بنفسه فهذا شرك أكبـــر.
3. أن يسب الدهر تسخطاً على أقدار الله وهذا من الكبائر
4. أن يكون سب الدهر من باب الإخبار فهذا جائز قال تعالى: { هذا يوم عصيب }

مســـــألة: هل الدهر من أسماء الله؟

الجواب: جمهور العلماء على أنه ليس من أسماء الله وأما قوله ((وأنا الدهر)) فالمراد به أنا خالق الدهر دل على هذا التأويل رواية مسلم ((وأنا الدهر أقلب الليل والنهار)).

فلا يكون المُقلب هو المقلَب؛ لأن الدهر هو مرور الأيام والليالي قال تعالى: ((وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا...)) الآية. والله سبحانه ليس هو الليل والنهار.

فائدة: ابن حزم عد الدهر من أسماء الله ولم يوافقه على ذلك أحدٌ من السلف.

٤٦-باب: التسمي بقاضي القضاة ونحوه.

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أخنع اسم عند الله: رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله).

قال سفيان: مثل (شاهان شاه).

وفي رواية: (أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه). قوله (أخنع) يعني أوضع.

الشـــــــــــــــرح

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي قال:

((إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله...)) الآية.

(شاه شاهٍ) باللغة الفارسية ملك الأملاك.

هذا الباب علاقته بالتوحيد من حيث الأسماء والصفات، حيث أن تسمية المخلوق بهذا الاسم مشاركة لله في بعض خصائصه وهذا من الشرك.

ومن تمام التوحيد كمال توحيد الأسماء والصفات.

(ملك الملوك) من أسماء الله الخاصة.

فائدة: كل اسم يدل على الكمال المطلق فهو خاصٌ بالله.

(قضي القضاة) ليس من أسماء الله لكنه يدل على صفة الكمال المطلق والكمال المطلق لا يكون إلا لله.

ما حكم التسمي بهذه الأسماء؟

التسمي بها على قسمين:

التسمي بها مطلقاً دون تقييد كـ ملك الملوك فهذا لا يجوز لما تقدم.

التسمي بها مقيداً ببلد أو بعض البلدان فهذا جائز كملك ملوك المسلمين؛ لأن هذا التقييد يخرجه عن المضاهاة لله وتركه أولى سواء كان باللغة العربية أو غيرهـــا.

والنهي في هذا الحديث للتحريم لقوله (أخنع) أي أخس وأقبح وأوضع.

٤٧-باب: احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لذلك.

عن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله هو الحكم، وإليه الحكم) فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين فقال: (ما أحسن هذا فمالك من الولد؟) قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: (فمن أكبرهم؟) قلت: شريح، قال: (فأنت أبو شريح)، رواه أبو داود وغيره.

الشـــــــــــــــــرح

عن أبي شريح أنه كان يُكنى أبا الحاكم فقال له النبي: ((إن الله هو الحكم وإليه الحُكم...)) الحديث.

هذا من توحيد الأسماء والصفات فلا يسمى الناس بأسماء الله الخاصة ومن تسمى بها فهذا خلل في التوحيد ويخشى عليه من الوقوع في الشرك ولا بالأسماء المشتركة إذا قصد بها كمال الصفة.

فائدة: الأولى أن يتكنى الشخص بأكبر أولاده لحديث الباب.

فائدة: كل شيء يُوهم خطأً فالواجب تركه سدا للذرائع.

فائدة: الصحيح التسمي بالحَكَم إذا كان مجرد علم لا يراد به الصفة.

فائدة: يجري في الصفات التقسيم الذي تقدم في الأسماء فلا يجوز أن نصف المخلوق بالصفات الخاصة بالله ويجوز وصفه بالصفات المشتركة بشرط ألا يُقصد بها كمال الصفة.

٤٨-باب من هزل بشيء فيه ذكر لله أو القرآن أو الرسول.

وقول الله تعالي: (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) الآية.

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة – دخل حديث بعضهم في بعض – : أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائناً هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القرّاء ـ فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق. فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الحجارة تنكب رجليه – وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب – فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ) ما يتلفت إليه وما يزيده عليه.

الشـــــــــــــرح

الهزل: بمعنى اللعب والسخرية والاستهزاء

غزوة تبوك كانت في السنة التاسعة للهجرة وهي آخر غزوة غزاها النبي.

(قرائنا) أي قراء الصحابة.

(أرغب بطونا) أي أكثر الناس أكلاً.

نسعة الناقة؛ أي حبل الناقة.

فيه أن النبي لم يكن كثير الجدال حيث أنه لم يقل شيئاً غير الآية.

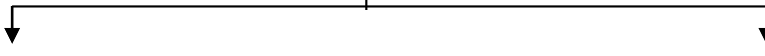
فائدة: من سب الله ورسوله والقرآن كفر وحكمه يُقتل مرتداً، فإن تاب

فللعلماء تفاصيل وأحسن ما قيل إنه تقبل توبته ولنا منه ما ظهر هذا في حق الله وحق القرآن وآيات الله.

آيات الله على قسمين:



الاستهزاء بالنبي ﷺعلى قسمين:



بعـــد موتـــه ﷺ	قبـــل موتـــ رسول الله (في حيـــاته)
فإن تاب فحقه إقامة الحد؛ لأن ذلك	فهذا يرجع إلى النبي ﷺ
من حقوق النبي والحد في هذا الأمر القتل	إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه .

٤٩-باب ما جاء في قوله تعالى: (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) الآية.

قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به. وقال ابن عباس: يريد من عندي.

وقوله: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي) قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر ـ شك إسحاق ـ فأعطي ناقة عشراء، وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع، فقال أي شيء أحب إليك قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه، فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل، فأعطي بقرة حاملاً، قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري؛ فأبصر به الناس، فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والداً؛ فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته. فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيراً أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق

كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً، فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك.

أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: كنت أعمى فردّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك) أخرجاه.

الشـــــــــــــــــــرح

تقدم نظير هذا الباب في قوله تعالى: {يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها...}.

وآية هذا الباب في حق الكافر؛ لأنه قال وما أظن الساعة قائمة.

فائدة: من أضاف النعمة لغير الله قد يعاقب بنزعها كما قال تعالى عن قوم سبأ [لقد كان لسبأ في مسكنهم آية].

٥٠-باب قول الله تعالى: (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا) الآية.

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله؛ كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عباس رضي الله عنه في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن ـ يخوفهما ـ سِّمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت، فأتاهما، فذكر لهما فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى: (جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا) رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته. وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: (لئن آتيتنا صالحاً) قال: أشفقا ألا يكون إنساناً، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

الشـــــــــــــــرح

هذا الباب فيه إضافة الاسم لغير الله؛ أي التعبيد لغير الله.

والباب السابق إضافة النعم لغير الله وهذا يناقض كمال التوحيد وقد يناقض أصل التوحيد.

حكم إضافة الاسم لغير الله



إذا أضاف الاسم لغير الله
مع اعتقاده أنه كالمضاف
إليه معظم لله فهذا
شرك أكبـــــر.

إذا أضاف الاسم لغير الله
مع تجرده عن الاعتقاد
أنه كالمضاف إليه فهذا
شرك أصغر لأنه يناقض كمال التوحيد

* فائدة: نقل ابن حزم الإجماع على تحريم هذه الأسماء <أي: المعبدة لغير الله>.

تنبيه: عبد المطلب مختلف فيه وأكثر أهل العلم أنه خاص بجد النبي على أنه لقب لا اسم وقيل أنه من باب الإخبار والأولى ترك ذلك.

((جعلا له شركاء)) قال بعض أهل العلم بتعبيده لغير الله، وقيل إن إبليس اسمه الحارث ولا يصح سنداً ولا متناً.

*قصة ابن عباس لم تثبت لا سنداً ولا متناً؛ لأن الأنبياء معصومون من الشرك والكبائر قبل النبوة وبعدها وآدم أول الأنبياء، وانظر القول المفيد شرح كتاب التوحيد للعثيمين.

الشرك نوعان:

شـــرك عبـــادة

هذا هو الشرك المعروف عند الإطلاق

ويكون شركاً أكبر وأصغر كما تقدم.

شـــرك طاعـــة

وهذا بحسبه قد يكون شركاً

أكبر أو أصغر أو معصية

وهو طاعة غير الله في الأمر والنهي.

٥١-باب قول الله تعالى: (وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ) الآية

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما (يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ): يشركون. وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

الشـــــــــــــــــرح

الحسنى: البالغة في الحسن الغاية والكمال، والحسنى أبلغ من الحسنة والأحسن.

الدعاء بأسماء الله على ثلاثة أقسام:

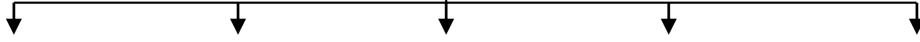
- حفظ ألفاظها.
- أن نفهم ونتدبر معانيها.
- أن نتعبد لله بمقتضاها بالقول والفعل.

{فادعوه بها} يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة.

{ذروا} اتركوا الملحدين في أسماء الله.

(الإلحاد) لغةً الميل، واصطلاحاً: هو الميل بها عما يجب فيها.

أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى:



- إنكارها أو إنكار شيئاً منها كما فعلت الجهمية.
- إنكار ما دلت عليه من صفات كما فعلت المعتزلة
- تسمية الله بما لم يسمى به نفسه سبحانه كما فعلت الفلاسفة والصوفية.
- أن يشتق من أسماء الله أسماءً للأصنام كما سُمي اللات من الإله والعزى من العزيز كما فعل المشركون.
- تسمية بعض الناس بأسماء الله الخاصة كالقدوس والرحمن.

{سيجزون ما كانوا يعملون} هذا تهديدٌ لهم بالعقوبة.

والإلحاد في أسماء الله بحسبه قد يكون بدعة وقد يكون شركاً أكبر وقد يكون معصية.

٥٢-باب لا يقال: السلام على الله.

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام).

الشـــــــــــرح

السلام اسم من أسماء الله، قال تعالى: {هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام...} الآية.

السلام معناه: السالم والمبرأ من العيوب والنقص، ولم يُذكر في القرآن إلا في آخر سورة الحشر.

مسألة: ما الحكمة من النهي عن قول (السلام على الله) ؟

الحكمة من النهي والله أعلم أمور:

أولاً: أن هذا يوهم نقص في حق الله؛ لأنك تطلب له السلامة، والسلامة إنما تطلب لمن يصيبه النقص والله منزه عن النقص لعموم كماله.

ثانياً: لأن الله هو السلام فهو يدعى ولا يدعى له .

مسألة/ هل النهي للتحريم أو الكراهة؟

الذي عليه عامة أهل العلم أنه للتحريم؛ لأن فيه خلل في التوحيد، وأي نهي فيه خلل بالتوحيد يكون النهي فيه للتحريم وكذلك الذي يتضمن نقصاً لله فهو للتحريم.

فائدة: يجوز الدعاء للملائكة بالسلامة.

مسألة/ ما معنى قول المؤمن لأخيه السلام عليكم؟

أي حلت بركة الله السلام عليك وسلمك الله من كل آفة وشر.

٥٣-باب: قول: اللهم اغفر لي إن شئت.

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له).

ولمسلم: (وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه).

الشـــــــــــرح

علاقة هذا الباب بالتوحيد أنه يناقض كمال التوحيد.

من فقه المؤلف لم يقل لا يقال بل قال قولُ لأن المسألة فيها خلاف.

ليعزم المسألة: أنه يعتقد أن الله لا يُعجزه شيء.

وقول (إن شئت) فيه تردد وهذا لا يجوز في حق الله لأمرين:



الأول: لأن الله لا يُعجزه شيئاً بحيث يفعل أو قد لا يفعل بل هو على كل شيء قدير

والثاني: وأن الله لا يتعاظمه شيء وهذا قد يُشعر أن العبد مستغني عن الله.

ليُعظِم الرغبة: أن أن تعتقد أنك تسأل الله ولو عَظُمَ في قلبك فستعلم أنه قادر عليه.

مسألة/ ما حكم قول إن شاء الله في الدعاء؟

فيه خلاف قيل للكراهة وقيل للتحريم وهو الصحيح.

فائدة: كل ما كان من الدعاء لا يقال فيه إن شاء الله كجزاك الله خير وبارك الله فيك ونحو ذلك.

٥٤-باب لا يقال عبدي وأمتي.

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي، وغلامي).

الشـــــــــــــــرح

عندما كان العبيد والإماء موجودون يقال للرقيق عبدي وأمتي، ويقال للسيد رب.

س/ لماذا أعطاهم النبي ﷺ كلمات بديلة عنها؟

لحاجتهم إليه عند النداء، والأصل أنه لا يشترط أنه كلما حرم الشرع شيئا أن يقال: ما البديل فهذا كلام أهل الهوى والبدع والمسلم يقول سمعنا وأطعنا.

فائدة: النهي قيل للتحريم وقيل للكراهة لوجود الصارف عن التحريم وهو قوله: ((حتى يجدها ربها))، وقول الله {وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم...} الآية.

والنهي هنا للكراهة على الصحيح وفي بعض الحالات قد يكون محرماً،إذا كان يوهم من اللفظ المشاركة لله في الصفات فهو محرم.

كلمة الرب الأصل أنها تطلق على الله وقد تطلق على غير الله بشروط:

- أن تكون بدون الألف واللام.
- أن تكون مضافة إلى شيء ممكن فلا يقال رب الأرض.
- ألا يُقصد بها عموم الصفة وإنما يقصد بها الملكية فقط.

٥٥-باب: لا يرد من سأل بالله.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى ترون أنكم قد كافأتموه). رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

الشـــــــــــــــــرح

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله)(من سأل بالله فأعطوه، ومن استعان بالله فأعيذه...)) الحديث.

صورة السؤال بالله:

أن يقول قائل: أسألك بالله أن تفعل أو لاً تفعل.

وعلاقته بالتوحيد أنه سأل بعظيم ومن كمال التوحيد أن لا ترده.

س/ هل يجب إعطاء كل من سأل أم لا؟

قيل الأمر مطلق عليك أن تعطيه إذا كنت تقدر، وقيل الأمر على الإباحة وقيل واجب وقيل مستحب وقيل محرم.

أما الواجب إذا سأل أمراً مباحاً وأنت تقدر عليه ولا يلحقك منه ضرر ولا مشقة، ولا يكون فيه إفساد للسائل، فإذا لم تتوفر هذا الأمور فالأمر بين الاستحباب والتحريم فإذا سألك محرمٌ فهو محرم وما عدا ذلك فهو مستحب.

*إجابة الدعوة مستحبة إلا في طعام الوليمة فواجبةٌ على الصحيح.

شروط إجابة الدعوة:

١-ألا يكون من يدعوك ممن يجب هجره.

٢-ألا يكون في الوليمة منكراً لا يستطيع تغييره.

٣-ألا يحصل في الإجابة ضرر ومشقة على الداعي أو المدعو.

قوله ((فكافئوه)) الأمر هنا للوجوب وهذا من صفات الكرماء، ومن لم يستطع المكافئة

فيكافئ بالدعاء.

((حتى تروا أنكم كافأتموه)) أي يُكثر له من الدعاء حتى يرى أنه قد كافئه على المعروف.

والمراد بالباب أن تعظيم الله في هذه الأمور من التوحيد.

٥٦-باب: لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة). رواه أبو داود.

الشـــــــــــــــــــرح

عن جابر قال: قال رسول الله: ((لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة)) رواه أبو داود.

صورته أنك تدعو الله وتسأل بوجهه فتقول: أسألك بوجهك الكريم أن تعطيني كذا، أو تقول لفلان أسألك بوجه الله.

الحديث لا يصح لكن عامة أهل العلم قالوا ينبغي للمسلم ألا يسأل الله بوجهه إلا الجنة ومعالي الأمور، فلا ينبغي لك قول: أسألك بوجهك أن ترزقني، والعمل عند أهل العلم على معنى الحديث.

مسألة: هل يأثم من سأل بوجه الله الأمور غير العظيمة؟

الذي يظهر والله أعلم أنه لا يأثم؛ لأن الحديث لا يصح من جهة ومن جهة أخرى أنه يجوز السؤال بصفات الله والوجه من صفات الله العظيمة وإنما كره بعضهم هذا من باب الأدب.

٥٧-باب: ما جاء في الـ (لو).

وقول الله تعالى: (يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا). وقوله: (الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا) الآية.

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (احرص على ما ينفعك، واستعن

بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان).

الشـــــــــــــــــرح

أي حكم من يقول لو. وقول الله تعالى: {يقولون لو كان لنا من الأمر شيءٌ ما قتلنا ها هنا} وقوله تعالى: {الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا...} الذين قال ذلك هم المنافقون ونزلت بعد غزوة أُحد. وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز...)) الحديث. لا تعجز عن فعل الخير؛ لأنه لو عجزت عن شيء من هناك شيء آخر من العبادات أسهل منه يمكنك فعله.

قولك لو كان كذا وكذا: فيه كأنك تدبر أمور نفسك، وأن الله ليس له دخل في ذلك، وفي هذا معارضة للقدر.

حكم قول لو فيه تفصيل:

- قول (لو) معترضاً على الشرع فهذا محرم وقد يصل إلى الكفـــر.
- معترضاً على قضاء الله وقدره وهذا محرم وهومن الكبائر.
- يبرر لنفسه فعل المعصية ويعتذر بها على فعـــل المعصية وهذا محـــرم.
- من باب التمني لأمور مستقبلية فالحكم بحسبه إذا تمنى الخير جـــاز وإذا تمنى الشر لا يجوز.
- للتأسف على فوات طاعة فهذا يجـــوز {لو استقبلت من أمري...}.
- من باب الإخبار فهذا جائز كقولك لو تفعل كذا.

هذه تتعلق بالماضي (الثلاثة الأولى) — وهذا تتعلق بالمستقبل (الثلاثة الأخيرة).

- فائدة: بوب البخاري باب ما يجوز من قول (لو) وسرد بعض الأحاديث التي تدل على ما يجوز من ذلك.

(احرص على ما ينفعك): من الأمور الدينية والدنيوية.

٥٨-باب: النهي عن سب الريح.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به) صححه الترمذي.

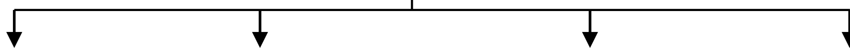
الشـــــــــــــــرح

عن أُبي بن كعب قال: (لا تسبوا الريح...) الحديث، والحديث صحيح.

الريح: هي الهواء اللطيف الذي جعله الله يسري بين السماء والأرض.

سب الريح يقدح في التوحيد؛ لأنها تجري بأمر الله تعالى وسبها فيه اعتراض على خالقها ومن أرسلها وهي مأمورة.

سب الريح فيه تفصيل كتفصيل سب الدهر:



إذا اعتقد أنها الله كَفَــرَ.

إذا اعتقد أنها من مخلوقات الله ولكن لها تأثير بنفسها فشركٌ أكبر

أن يسبها تسخطـــاً على أقدار الله فهو من الكبائــر.

أن يذم ما حصــل بسببها من باب الإخبار فهو جائزٌ ولا يسمى سبــاً.

*الريح يرسلها الله بالرحمة ويرسلها بالعذاب.

فائدة: كل ما ورد في القرآن بلفظ (ريح) فهي عذاب وما جاء بلفظ (رياح)فهي رحمة.

٥٩-باب: قول الله تعالى: (أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ) الآية. وقوله: (وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ)

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو الظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده. فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... ... وإلا فإني لا إخالك ناجياً

الشـــــــــــــــرح

هذا الباب عقده المؤلف لبيان حرمة سوء الظن بالله، فمن ظن بالله ظن السوء فهذا يقدح بالتوحيد، وقد يوصل إلى الشرك أو البدع أو أقل ذلك إلى الكبائر، فالواجب على المسلم أن يظن بالله ظناً حسناً.

فمن ظن بالله ظناً سيئاً في شرعه وحكمه فهذا حاله وكأنه يقول الله ظلمنا بهذه الأمور فهذا كفر إن اعتقد ذلك ثم ما عدا ذلك يكون على حسب ما وقع في القلب والظنون لا تنحصر في باب.

والظن السيئ من صفات المنافقين، ومن أقبح ظن السوء من ظن أن الله لا ينصر دينه وأن الكفار سيكونون سيظهرون على المسلمين على الدوام ، فهذا من أعظم ما يقدح في التوحيد .

٦٠-باب: ما جاء في منكري القدر.

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره). رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: (يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) يا بني سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول: (من مات على غير هذا فليس مني).

وفي رواية لأحمد: (إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة).

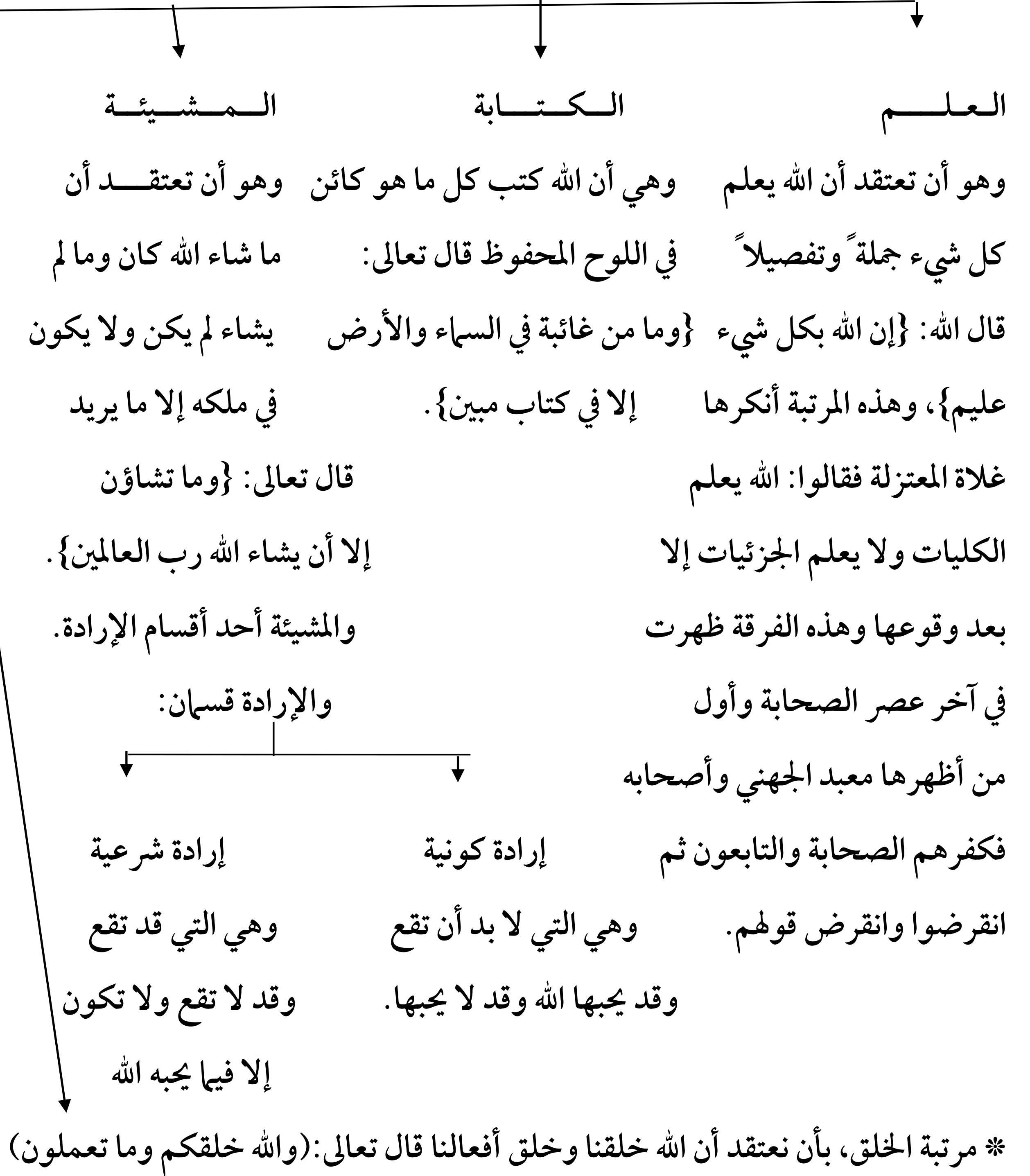
وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار).

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: (لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما اصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار). قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيدبن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.

الشـــــــــــــــــرح

القدر مأخوذ في اللغة من التقدير وهو ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان أحد إلا به ، وهو من المسائل العظيمة وأصول الدين الذي خالف فيه أهل البدع.

مراتب القدر:



العـــلـــم

وهو أن تعتقد أن الله يعلم كل شيء جملةً وتفصيلاً قال الله: {إن الله بكل شيء عليم}، وهذه المرتبة أنكرها غلاة المعتزلة فقالوا: الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات إلا بعد وقوعها وهذه الفرقة ظهرت في آخر عصر الصحابة وأول من أظهرها معبد الجهني وأصحابه فكفرهم الصحابة والتابعون ثم انقرضوا وانقرض قولهم.

الـكـتـــابة

وهي أن الله كتب كل ما هو كائن في اللوح المحفوظ قال تعالى: {وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين}.

الـمـشـيئـة

وهو أن تعتقـد أن ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ولا يكون في ملكه إلا ما يريد قال تعالى: {وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين}.

والمشيئة أحد أقسام الإرادة.

والإرادة قسمان:

إرادة كونية: وهي التي لا بد أن تقع وقد يحبها الله وقد لا يحبها.

إرادة شرعية: وهي التي قد تقع وقد لا تقع ولا تكون إلا فيما يحبه الله

* مرتبة الخلق، بأن نعتقد أن الله خلقنا وخلق أفعالنا قال تعالى:(والله خلقكم وما تعملون)

ضل في هذه الإرادة طائفتان من أهل البدع:

١-القدرية (المعتزلة) أثبتوا الإرادة الشرعية فقط، فجعلوا أفعال العباد اختيارية وأنها من خلق العبد لا من خلق الله.

٢-الجبرية (الأشاعرة) أثبتوا الإرادة الكونية فقط فجعلوا أفعال العباد اضطرارية، فالعبد عندهم مجب على عمله لا اختيار له ولا قدرة، وهذا ظاهر البطلان شرعا وعقلا.

وجمع بعضهم مراتب القدر في هذا البيت:

علم كتابة مولانا مشيئته *** وخلقه وهو إيجاد وتكوينُ

س/ ما هو القول الحق في الإيمان بالقضاء والقدر؟

معتقد السلف هو أن تعتقد أن كل شيء بقدر وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله خلقنا وخلق أعمالنا، وأنه سبحانه خلق الخير والشر، والشر الذي خلقه الله ليس في أفعاله ولكن في مفعولاته وليس شراً محضاً بل نسبي؛ أي (شر لبعض الناس وخير لآخرين)، وخلق الله الشر لحكم علمها من علم وجهلها من جهل.

فائدة: أفرد الله القدر في القرآن فقال: {إنا كل شيء خلقناه بقدر}.

وعطفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((وتؤمن بالقدر خيره وشره)) ولم يعطفه بالواو فحسب كما عطف بقية الأركان وذلك لأهميته.

فائدة: إنكار مرتبة (العلم) كفر ومن أنكر مرتبة من مراتب القدر الأخرى فعلى تفصيل دائر بين الكفر و البدعة ، ومن أنكرها جملة كفر.

مسألة: ما هو أول مخلوق ؟

قيل أول مخلوق هو القلم، وقيل العرش وعن ابن عمر مرفوعاً:

((كان الله ولا شيء قبله، وكان عرشه على الماء)) رواه مسلم.

وهذا قول الجمهور أن أول مخلوق هو العرش.

وأما قوله (أول ما خلق الله القلم) الأولوية هنا لأول عمل أمر به وهو الكتابة ولا يرجع إلى الخلق.

تنبيه: لا يجوز للإنسان أن يتعمق في مسائل القدر لأنه: سر الله في خلقه من كشفه هلك؛ لأن ذلك قد يوصل إلى الكفر، قال تعالى: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}.

فائدة: حديث (القدرية مجوس هذه الأمة) مختلف في صحته، والألباني يحسنه، وقيل لهم مجوس؛ لأن المجوس يثبتون خالقين النور والظلمة وهؤلاء يثبتون خالقين كثر مع الله؛ لأن كل مخلوق يخلق فعله بزعمهم، وعلى القول بضعف الحديث إلا أنه صح وصفهم بمجوس هذه الأمة عن جماعة من الصحابة.

٦١-باب: ما جاء في المصورين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة). أخرجاه.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهؤون بخلق الله).

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم).

ولهما عنه مرفوعاً: (من صوّر صورة في الدنيا كلّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ).

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي عليّ: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته).

الشـــــــــــــــرح

عُقد هذا الباب لبيان حكم التصوير وأنه من كبائر الذنوب، وعلاقة التصوير بالتوحيد من حيث المضاهاة لخلق الله تعالى، وهذا متعلقٌ بالربوبية هذا من جهة ومن جهة أخرى أنه أول ما وقع الشرك في الأرض كان بسبب التصوير وهذا متعلقٌ بالألوهية.

الأصل في الأدلة أن تحمل على العموم بأي طريقة كان التصوير، وإن اختلفت الوسائل

وبعض المتأخرين من بعد القرن الرابع فصلوا تفصيلا ليس عليه دليل فجعلوا ما لها ظل وما ليس لها ظل ويقصدون بالظل المنحوت، ووجهوا الأحاديث عليه ولم يأت دليل على التفصيل

والأحاديث كلها بألفاظ العموم ثم بعد ذلك ظهرت الآلات الحديثة وما يسمى بالصور الشمسية ونحوها، ثم ظهر الخلاف مرة أخرى، والأصل أن التصوير محرم لذاته لعموم الأدلة.

والحديث الأول فيه بيان علة التحريم وهي المضاهاة لخلق الله.

((أشد الناس)) أي من أشد الناس؛ لأن الكفار أشد الناس عذاباً يوم القيامة، وقيل أشد الناس في هذا الباب؛ أي باب المضاهاة لخلق الله.

الحديث الثالث بلفظ: (صورة) وهي نكرة في سياق النفي تفيد العموم.

وسائر الأحاديث التي فيها تحريم التصوير وردت بلفظ العموم، فدل على تحريم جميع أنواع التصوير، وما وقع من بعض العلماء المعاصرين من أهل السنة من القول بجواز بعض الأنواع من التصوير فهو اجتهادٌ منهم نظراً فيه إلى المصلحة المترتبة على ذلك، فيعتذر لهم، مع بيان هذا الخطأ، ولا يُتابعون على الخطأ؛ لأن قول رسول الله أحق أن يُتبع ويُعظم ويُقدم على قول كل أحد.

٦٢-باب ما جاء في كثرة الحلف. وقول الله تعالى: (وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب) أخرجاه.

عن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه) رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً؟

ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن).

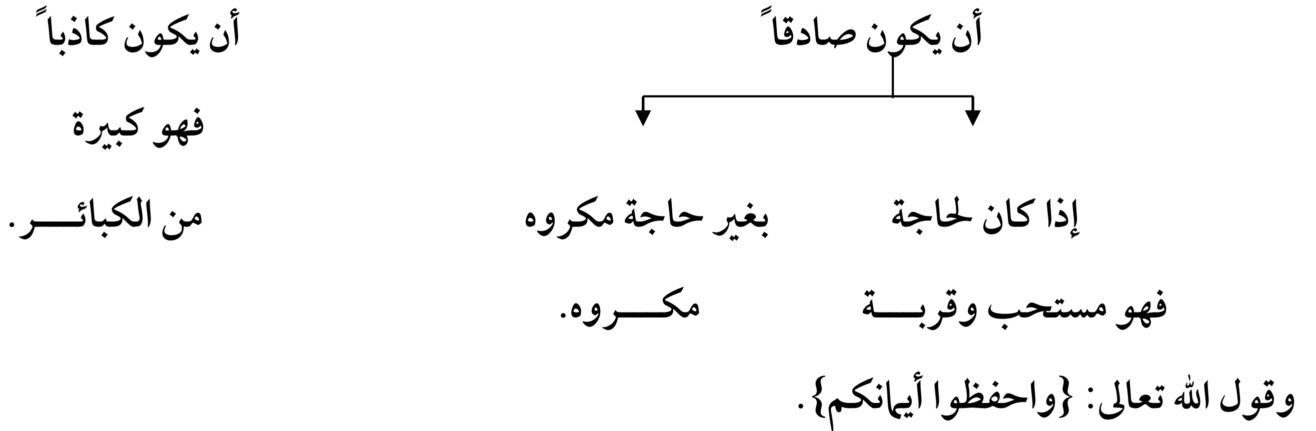
وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته).

قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

الشـــــــــــــــــرح

أي ما حكم ذلك وهو يريد الحلف بالله، وعلاقته بالتوحيد أن الإكثار من الحلف لغير حاجة ولو كان بالله يحصل فيه نقص في تعظيم الله تعالى بحيث أن من يكثر من الأيمان لا تبقى ليمينه مهابة.

الحلف بالله على قسمين:



وقول الله تعالى: {واحفظوا أيمانكم}.

فيها الأمر بحفظ الأيمان، وفيها تفسيران:



وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله)(الحلف منفقة للسلعة محقة للبركة)) أخرجاه.

الحلف عند البيع والشراء محرم عند كثيرٌ من أهل العلم؛ وإن كان صادقاً لأنه لغير حاجة، ولما ورد فيه من الوعيد لمن جعل يمينه منفقة للسلعة فهذه كبيرة؛ لأن الحلف بالله تعظيم له، فلا ينبغي أن يستخدم لغرض دنيوي لا سيما إن كان فيه غِشٌ وخداع.

وكلما استمر الإنسان على ذلك كان الإثم أكبر.

وعن سلمان أن رسول الله قال: ((ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم...)) الحديث.

(أشيمط) كبير في السن، وهذه اللفظة صفة كاشفة؛ لأن الشاب لا يجوز له الزنا وإنما تشتد العقوبة لمن زنا عند كبر سنه؛ لأن الأولى له في هذا السن التوبة والرجوع إلى الله.

(وعائلٌ مستكبر) وهو الفقير المستكبر، وهذا يدل على مرضٍ في قلبه؛ لأنه لا يوجد ما يجعله يتكبر من الأتباع والمال مع أن الكبر محرمٌ مطلقاً للغني والفقير.

(ورجلٌ جعل الله بضاعته) هذا هو المقصود من الباب، وهذا دليل على أنه ليس مُعظِماً لله؛ لأنه جعل الله أرخص الأشياء عنده أن يحلف بالله من أجل أن يصل إلى لذةٍ أو شهوةٍ أو إنفاقِ سلعة.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله:

((خيرُ أمتي [! قرني!] ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...)) الحديث.

الصحيح أنه مرتين، وبعد الثلاثة القرون يفسد الناس يشهدون ولا يُستشهدون.

*من شهد بدون أن يطلب للشهادة مع وجود الشهود فهذا يدخل في الحديث ومن شهد مع عدم وجود الشهود وفي عدم شهادته ضياع الحقوق وجب عليه ذلك، والشهادة تكون غالباً مصحوبةٌ باليمين، ولذا قالﷺ ((تسبق يمينه شهادته).

٦٣-باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ﷺ. وقول الله تعالى: (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللهِّ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) (١٢٢) الآية.

عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: (اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن هم أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك. فإنك لا تدري، أتصيب حكم الله فيهم أم لا) رواه مسلم

الشـــــــــــــــــــرح

الذمة بمعنى: العهد والميثاق، ويقال للعهد ذمة بمعنى: أن ما كان بالذمة فلا يسقط إلا بالوفاء به.

يقول الأصوليون في تعريف الواجب من العبادات هو ما برئت به الذمة وسقط به الطلب، ولهذا قيل للعهد ذمة فلا يسقط حتى تؤديه.

وقول الله تعالى: {وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم...} الآية.

وأعظم العهود العهد بالله والآية فيها الأمر بالوفاء به.

قال تعالى {وقد جعلتم الله عليكم شهيدا}.

أي شاهداً بما حلفتم به.

وعن بريدة ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سري... الحديث.

السرية هي: التي لم يخرج فيها النبي وأمّر غيره.

والتي خرج فيها ﷺ يقال لها غزوة، وقيل غيرُ ذلك.

قوله: (في سبيل الله) فيها بيان الإخلاص.

(الغلول) أخذ شيئاً من الغنائم قبل قسمتها، و(الغدر) هو نقص العهد بدون إشعار من عاهدت.

قوله (ثم ادعوهم إلى التحول...) أي إن لم يؤمنوا كلهم فيجب على المؤمن أن يهاجر.

(تخفروا) تخونوا.

*معنى ذمة الله أن ينزل كافرٌ في حرب مَثَلاً على ذمة المسلمين فإن نزل على عهد الله وذمة الله ثم رأى الأمير ألا يوفيه ونحو ذلك كان ذلك ذنبا عظيما، لكن إذا أنزله على ذمتة فخفرها، فإنه أخف من أن يخفر ذمة الله وذمة نبيه، وجعل ذلك بعضهم خشية ألّا يصيب حكم الله. وحكم الله مقدمٌ على حكم غيره، وقيل هنا خاص قدم حكم غير الله على حكم الله، وليس معناه أنه يحكم بغير ما أنزل الله بل يتحرى الصواب فإن أصاب فبها، أو أخطأ يرجع ذلك إلى ذمته لا إلى ذمة الله، وقيل كان هذا في بداية الإسلام ثم نسخ ؛ لأن الأحكام كان ينسخ بعضها بعضاً، فإذا نزل شيء آخر ونسخ ما قبله من الحكم الذي تضمنته المعاهدة يعطي فرصة للكافرين للتشويه والتشكيك بالإسلام، والله أعلم.

وعلاقة هذا الباب بالتوحيد أن من أعطى الناس عهد الله وذمته فيجب عليه أن يوفي به، فإن أخفر ذلك فليس عنده تعظيم لله سبحانه وتعالى وهذا فيه خلل في التوحيد.

مسألة:ما الفرق بين حكم الله وحكم غيره؟

حكم الله لا يكون إلا حقا صوابا، وأما حكم غيره فقد يصيب وقد يخطئ.

٦٤-باب: ما جاء في الإقسام على الله بلا علم.

عن جندب بن عبد الله رضي الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا اغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك) رواه مسلم.

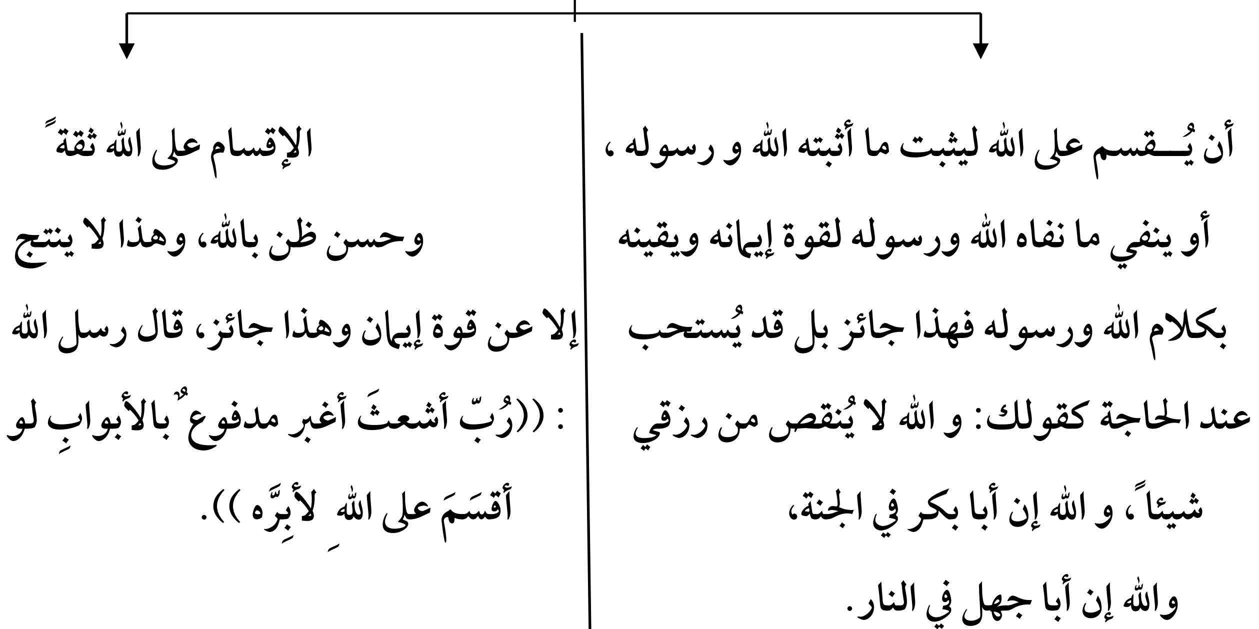
وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته.

الشــــــــــــــــــرح

هذا الباب علاقته بالتوحيد أن بعض أنواع القسم على الله سببها خللٌ في توحيد صاحبها والقسم على الله في بعض أنواعه قد يُذهب بالتوحيد وقد يُذهب كمال التوحيد.

وصورته: قول والله لتفعلن يا رب كذا وكذا، أو والله لا يفعل الله كذا.

أنواع الإقسام على الله:



(من أقسم على الله سوء ظنٍ بالله وتحجير لرحمة الله فهذا محرم لا سيما إن كان عند صاحبه ِ عُجبٌ بالنفس كما في حديث الباب).

٦٥-باب: لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه.

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (سبحان الله! سبحان الله!) فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه؛ ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه) وذكر الحديث. رواه أبو داود.

الشـــــــــــــرح

الأصل في الشفاعة أن تكون للمفضول عند الفاضل أما أن تطلب من الله أن يشفع لك عند فلان؛ فلا يجوز، لما فيه من عدم تعظيم لله.

والحديث المذكور في الباب لا يصح ففيه أكثر من علة، ومعناه صحيح والله أعلم.

٦٦-باب: ما جاء في حمايته ﷺ حمى التوحيد، وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه، قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا، فقال: (السيد الله تبارك وتعالى). قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً؛ فقال: (قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان) رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه، أن ناساً قالوا: يا رسول الله: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: (يا أيها الناس، قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل). رواه النسائي بسند جيد.

الشـــــــــــــرح

في هذا الباب بيان عناية النبي ﷺعناية كبيرة بالتوحيد فقد سد كل طريق يوصل إلى الشرك، والإسلام جاء لسد الذرائع فكلما عظم الشيء كثر الحث عليه والنهي عن ضده، وتقدم في الباب الحادي والعشرين نحو هذا الباب، وتقدم أن الشيء إذا نُهي عنه مُنعت الوسائل المفضية إليه

فالله أعلم بما أراده بذكره هذا التكرار، وقد يقال إنه كرره لأهميته فذكر هناك بصورة وهنا بصورة أخرى.

عن عبد الله بن الشخير ﷺ قال: انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا... الحديث.

معناه أن المدح الزائد قد يتجارى ببعض الناس حتى يصلوا به إلى مرتبة الألوهية كما حصل من الصوفية في رسول الله ، بل في كبارهم وقد يكون بعضهم ساحرا أو فاسقا، وكذلك الرافضة في أئمتهم الإثني عشر وقد ذكر أبو يزيد البسطامي أحد الصوفية أنه قال: خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله. وذكر الشعراني في طبقات الصوفية ذكر أن شخصاً قيل له أين كنت قال في مدينة كذا، وقال أنا أرى الله قال له صاحبه لو رأيت أبا يزيد البسطامي خير من أن ترى الله سبعين مرة، وهذا من نتائج الغلو في الأشخاص.

فائدة: السيادة المطلقة لا تكون إلا لله والمقيدة يجوز إطلاقها لغير الله، وإنما زجرهم رسول الله ﷺ؛ لأنهم قالوا ذلك في وجهه، و لا ينبغي ذلك إلا لمصلحةٍ شرعية، وليسد هذا الباب الذي يحصل بسبب المجاراة فيه الغلو وربما أوصل إلى الشرك،

٦٧-باب ما جاء في قول الله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) الآية.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) الآية.

وفي رواية لمسلم: والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله. وفي رواية للبخاري: يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع) أخرجاه. ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: (يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون. وروي عن ابن عباس، قال: (ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم).

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس) قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض).

وعن ابن مسعود قال: (بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم). أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمه عن عاصم عن زر عن عبدالله ورواه بنحوه عن المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تدرون كم بين السماء والأرض؟) قلنا: الله ورسوله أعلم قال: (بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم). أخرجه أبو داود وغيره.

الشـــــــــــــــــــــرح

ختم المؤلف هذا الكتاب بهذا الباب، وخلاصة هذا الباب هو تعظيم الله، ولا يحصل كمال التوحيد عند العبد وتمامه إلا على قدر تعظيم الله، والتوحيد يكون بقدر تعظيم الله.

ولهذا إنما كان الأنبياء أعرف الناس بالله وأعظم توحيداً من غيرهم لقوة تعظيمهم لله، ومدار كمال التوحيد وإخلاص التوحيد هو تعظيم الله، ولهذا بيّن الله أن سبب كفر المشركين هو عدم تعظيم الله حق تعظيمه.

فائدة: أساس الشرك بالله هو عدم تعظيم الله.

(ما قدروا الله) ما عظموا الله حق تعظيمه.

(والأرض جميعا) أي الأرضين السبع.

يطوي الله السماوات بيمينه؛ لأنها شيء يسير في ملكه فالدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة فهذا دليلٌ على عظمة الله.

ولهذا كان شِبرٌ في الجنة خير من الدنيا وما فيها، والجنة مع عظمتها وسعتها إنما هي شيءٌ من ملك الله وليست هي مُلك الله كُلّه.

فائدة: الصحيح (الماء والثرى على أصبع).

و عن ابن مسعود ﷺ قال : جاء حِبرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد... الحديث السماوات والأرض تكون في يمين الله وهذا فيه إثبات اليد لله، وكذلك الأصابع بدون كيف.

المعتزلة قالوا ضحك النبيُ تكذيبا لليهودي وليس على وجه الإقرار، ويُرد عليهم بأن النبي ﷺ لا يسكت على منكر، ولما اكتفى بالضحك، الضحك ليس من طرق الإنكار، والله أعلم.

فائدة لفظة :(شماله) ذكرها مسلم في الشواهد وهي شاذة من طريق عمر بن حمزة وهو ضعيف وقد شذ بها وجاءت من طرق خارج الصحيحين ولم تثبت الروايات بذلك، والمعتمد من الروايات أن كلتا يدي ربي يمين. وكل ما ورد بذكر الشمال، فلا يثبت.

فائدة: أثر ابن عباس صالح للتحسين.

*حديث ابن مسعود موقوف عليه ، وله حكم الرفع، وفيه بيان عظمة الله؛ فإنه لا يخفى عليه شيءٌ بل يعلم السر وأخفى والسر هو ما تحدثت به نفسك، وأخفى وهو ما لم تحدث به نفسك وستتحدث به بعد ذلك.

فائدة: من أعظم طرق تعظيم الله: معرفة الأسماء الحسنى والصفات العلى ومعرفة معانيها والعمل بها.

والحمد لله رب العالمين الذي تتم بنعمته الصالحات

تمت مراجعته وترتيبه ضحى يوم الأربعاء لخمس بقين من جمادى الأولى لعام ١٤٤٣هـ

وكتبه الفقير إلى عفو ربه: أبو حذيفة زكريا بن حميد بن فهاد الصلاحي الحبيشي

****

****